رحلة ابن بطوطة في مدينة سيوستان وما يجاورها من بلاد السند القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي

د.شيماء عبد الحميد سعد البنا*

ملخص

تعتبر هذه الرحلة من الموضوعات الهامة خاصة بتلك المنطقة النائية ، والتي لم نعرف الكثير عن تفاصيل حياة أهلها وأهم عاداتهم وتقاليدهم ،فهذه الرحلة تعد بمثابة تقرير مفصل الذى كشف لنا عن كثير من حقائق وأسرار المكان ؛ ولذا نجدها – هذه الرحلة– احتلت مساحة كبيرة من الاهتمام في رحلة ابن بطوطة . فقد كان لهذه الرحلة – بمدينة سيوستان Sehwanوما يجاورها – فى امدادنا بمعلومات تاريخية دقيقة وصحيحة .

لقد انتقل ابن بطوطة من أقصى الغرب الإسلامي إلى أقصى الشرق الإسلامي ومكث هناك فترة تتجاوز الثماني سنوات ، وهى فترة كفيلة باختلاط حضارتين مختلفتين أثرت كل منهما في الأخرى . ولذا فهي صورة من صور حوار وتبادل الحضارات بين الشرق والغرب .

فقد قام ابن بطوطة برحلته هذه في القرن الثامن الهجري وكان لم يتجاوز الثلاثين من عمره واستطاع أن يدخل بلاد الهند والسند وهو ميسور الحال ودخلها شمالاً وكانت البلاد في تلك الفترة بيد السلطان المعظم محمد شاه ملك الهند والسند .

والمقصود بالعنوان : تناول رحلة ابن بطوطة لمجموعة من مدن بلاد السند(١)، والتركيز على مدينة سيوستان (٢) في الرحلة؛ نظرًا لكونها مفتاحًا لبقية مدن السند، ومعبرًا وممرًّا مهمًّا للمنطقة بأكملها، إضافةً لاهتمام ابن بطوطة بها واختيارها مكانًا للإقامة والاستقرار، وانفراد أهلها بخصال لم توجد في غيرهم من أهالي مدن المنطقة؛ فقد مدوا يد العون والمساعدة للمسلمين عند الفتح

* د. شيماء عبد الحميد سعد البنا: مدرس التاريخ الإسلامي – كلية الآداب – جامعة دمنهور

الإسلامي، وأكبر دليل على ذلك أن جزءًا من سكان المدينة متمثلًا في رهبانها قد أرسلوا رسولًا إلى محمد القاسم فاتح المدينة يُعلمونه أنهم لا يؤيدون حاكم مدينتهم(٣)، ويرفضون حكمه، ولم يكن الأمر مقتصرًا علي هذه الفئة، بل شمل زرّاع وصنّاع وتجّار المدينة أيضًا؛ مما يعني أن الرفض للحكم وعدم تقبله من الأغلبية العظمى، ولم يكن هذا جملة ما قاموا بفعله، بل قاموا بإرسال رسالة إلى حاكم المدينة يقولون له: إننا نريد الاستسلام للمسلمين؛ لما نعلمه عنهم من الأمن والأمان؛ فإننا نعرف جيدًا أن من يطلب الأمان منهم أعطَوه إياه. كما أن الجزء الآخر من أهل سيوستان يعتبر من السابقين في دخول الاسلام؛ فيقال: إنه كان هناك جماعة كبيرة من البوذيين يعرفون بقوم جنة بإقليم سيوستان، وهم أول من دخل في الإسلام بإقليم السند، وتابعهم عدد كبير من زعماء وجماعات كبيرة من أهالي السند، ولاسيما البوذيون منهم، ولم يقتصر الأمر على ذلك فهي مدينة هامة، وتكمن أهميتها في أنها من أهم مدن بلاد السند؛ فهي مدينة خصبة كثيرة الخيرات، وحولها تقع القرى، كما أنها ذات أسواق تجارية؛ مما جعلها من أهم المراكز التجارية الداخلية في السند (٤).

كما تمتعت سيوستان بثروات متنوعة ومتعددة؛ جعلت أهلها من أثرياء المنطقة، وأكبر دليل على ذلك بعد فتح المسلمين للمدينة جمع المسلمون الأموال والذهب والفضة والنقود والأملاك وقاموا بتوزيعها على الجيش بعد إخراج الخُمس منها وإرساله إلى دار الخزانة للحجاج بن يوسف الثقفي. (الكومى ، صفحة ٢٣٩٣)

كما أن ابن بطوطة قد مرّ ببعض هذه المدن مرتين، ولم يُشِر لذلك إلا عند زيارته لها للمرة الأولى فقط؛ لأنها تختلف عن المرة الثانية؛ ففي المرة الأولى

مكث بها، ولكن المرة الثانية كانت عابرة، ومن هذه المدن مدينتي سيوستان وجنانى، فمن خلال تتبعي للرحلة على الخريطة وجدت ابن بطوطة قد تحرك من الشمال من مدينة جنانى، ثم مدينة سيوستان، ثم لاهرى جنوبًا، ومنها تغير مسار الرحلة مرة ثانية إلى الشمال إلى بكار، مرورًا بسيوستان، ثم جنانى، ثم بكار التي تقع شمال جنانى .

وعلى الرغم من هذا كله لم نر انفراد المدينة وحدها بهذه الدراسة؛ فتناولت أيضًا ما يجاورها من مدن، وذلك لأسباب قد تكون بسيطة لكنها هامة، ألا وهي الرغبة في تتبع مسار الرحلة منذ أن وطأت قدم ابن بطوطة بلاد السند، لا لشيء إلا للوقوف على موقف أهل المنطقة من رحلة ابن بطوطة، ورد الفعل هذا لم يظهر إلا في هذا الوقت بالتحديد، ويجب علينا ألا نغفله.

كما أن تقارب المسافات بين سيوستان وبين مجموعة المدن هذه التي تقع بشمالها وجنوبها جعل مصير هذه المدن مرتبطًا ببعضه؛ فقد كانت سيوستان حلقة الوصل بينهم، رغم عدم وقوعها في منتصف المدن، ولكنها في مفترق الطرق.

كانت رحلة ابن بطوطة بهذا المكان رحلة جغرافية؛ حيث تناولت وصف المدن، والطرق والجبال، والبحار والأنهار، وبعض الظواهر الطبيعية الأخرى، كما تحدثت عن حياة الناس وطباعهم؛ فقد اشتملت على جزء كبير من الرحلة يقع تحت اصطلاح الجغرافية الطبيعية والبشرية، ولم تقتصر على ذلك، فقد كانت هذه الرحلة حركة علمية واسعة النطاق؛ فقد وصف دور العلم بعد نزوله بها والزوايا والعلماء والفقهاء، والأكثر أنه رافقهم وعزم على صحبتهم؛ ولذلك

نجحنا في الحصول على الكثير من المعلومات، كما كانت رحلة تاريخية تحدث فيها عن بعض الحوادث التاريخية، ووصفها وصفًا دقيقًا، كما تحدث عن بعض الأمراء والأولياء الصالحين وطباعهم؛ لذلك نستطيع أن نقول: إن رحلة ابن بطوطة مزيج متناسق من الرحلة العلمية التاريخية الجغرافية.

مكث محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، الملقب بابن بطوطة – الملقب أيضاً بشمس الدين – أمير الرحالة العرب– بمحل ميلاده ومسقط رأسه طنجة منذ مولده حتى خروجه للرحلة، أي منذ عام ٧٠٢هـ/١٣٠٤م حتى ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، أي حوالي ٢٢سنة، وكانت رحلته حوالي سبعة وعشرين عامًا في أسفار متواصلة قد وهب نفسه لها، وعندما عاد من رحلاته استقر بمراكش في بلاط السلطان أبي عنان من بني مرين، وأملى كتابه المشهور في نفس البلاط٧٥٦هـ/ ١٣٥٦م على الكاتب الأديب محمد بن جزى الكلبي، ثم مات٧٧٧هـ/ ١٣٧٧م، قضى منهم حوالي ثمانية أعوام ببلاد الهند والسند، أي أنه ظل تقريبًا ثلث رحلته في هذه البلاد؛ مما يعني أنه أعطى هذا المكان أهمية كبيرة من رحلته، مما جعله يستكشف المكان بكل تمعن ودقة. (ابن بطوطة) (سراى الدين)

لقد كانت رحلة ابن بطوطة بمثابة تقرير مفصل، يحوي وصفًا ومعلومات دقيقة وجذابة، تجذب السائح وتشجعه على التجول والسياحة بهذا المكان؛ فقد وصف الزوايا، خاصةً تلك التي نزل بها، وكانت محل تقدير واهتمام منه؛ لما لها من أهمية كبيرة في حياته، ولكونها مصدر دخل مهم من مصادر دخل رحلته، كما اهتم بتحديد المسافات والأبعاد بين المدن بمقاييس ذلك العصر

ووسائل النقل، كما أعطانا صورة واضحة عن كيفه وصول الأخبار للسلاطين والأمراء ، وأعني بذلك بريد هذا العصر وأحداث من تاريخ وعادات وتقاليد سائدة هناك، كما قدم مادة تاريخية قيمة عن المدن والبلدان التي زارها؛ (ابن بطوطة) (سراى الدين) مما يبرز الدور الهام الذى لعبته نشأة ابن بطوطة في تشكيل اتجاهات وميول رحلته، فقد كانت نشأته دينية، بمعنى أنه درس في أول حياته العلوم الدينية، وتعلم الأدب والشعر؛ فشب محافظًا على النواحي الروحية والفرائض الدينية، وكان من أهم صفاته وأخلاقه شدة التأثر،وسرعة الانفعال، والعاطفة القوية كشأن الأتقياء الورعين، فقد حج أربع مرات، وكان تفكيره في الحج من أهم الأحداث التي حدثت في عهده، والتي شجعته ودفعته على الترحال، وتعددت رحلاته، فوصلت لثلاث رحلات، استغرق في الرحلة الأولى أربعًا وعشرين سنة، وفي هذه الرحلة زار بلاد السند ورجع إلى فاس عام٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م، ورحلته الثانية كانت سنة تقريبًا، زار فيها الأندلس، ورجع لفاس، وكانت رحلته الثالثة سنتين، زار فيها السودان، ورجع لفاس. (سراى الدين).

وقد استطاع ابن بطوطة القيام بهذه الرحلة والإنفاق عليها من عدة مصادر أعانته على الإنفاق، وهي: عطايا الأعيان؛ فقد أغدق السلاطين الأعطيات على ابن بطوطة، مدفوعين بعادات هذا العصر، وراغبين في إكرام هذا الفقيه المغربي، ولمدحه لهم في أشعاره، وأيضًا عطايا الأمراء والملوك والشيوخ والفقهاء، بالإضافة إلى عمل ابن بطوطة؛ فقد عمل ابن بطوطة في القضاء مرتين – الملديف[٥] ودهلى[٦] –، وكان يكسب الأموال الطائلة من عمله، لكنه كان مُسرفًا، وأيضًا لعبت المدارس والزوايا والأربطة دورًا كبيرًا في

رحلته؛ فقد نزل بها وأمدته بكل ما يحتاجه من مأكل وملبس وبعض التقديمات المالية . (ابن بطوطة)

لقد عاش ابن بطوطة عصر التفتت السياسي، عصر الدول والإمارات، وهو عصر بني مرين[٧] بالمغرب، الذي كان يمتاز بالقوة والبسالة، كما عبر فيه أهل مرين البحر أكثر من مرة لعدة أغراض، منها الحرب، واسترجاع المدن العربية من قبضة الإفرنج، فكانوا دائمي التنقل والترحال؛ لتحقيق آمالهم وأغراضهم، كما حرصوا على أن العلاقات مع دول الشرق متينة عن طريق تشجيع الرحلات، وبالرغم من قوة ومجد هذا العصر إلا أنه لا يخلو من عدم الاستقرار والتفتت؛ إذ كثرت فيه الثورات، مثل ثورة الأمراء على الولاة، كما شهد الحجاز أحداثًا مماثلة أيام عطيفة ورميثة ابني أبي رمى[٨]؛ إذ تحاربا وكثر ضرر الناس منهم، وكذلك مدن العراق عرفت من الثورات أيام السلطان أبي سعيد والأمير الجوبان[٩]، أما الهند فقد عرفت فترة من اللااستقرار الذي لامثيل له؛ بسبب كثرة الصراعات الداخلية التي أثرت سلبًا على الحياة السياسية وعلى كل نواحي الحياة؛ فكانت البلد في حالة ظلام سياسي، وفي وسط هذا الاضطراب سافر ابن بطوطة الذى يحمل احترامًا وتقديرًا للشرق وأهله وعلومه؛ فلم يكن المغرب يمتلك الحضارة التي يمتلكها العراق وأهل المشرق؛ لذلك كان أهل المغرب ينظرون لأهل المشرق نظرتين، الأولى: نظرة تقديس؛ لأنه مهد الرسول والصحابة، ومكان النبوة، ومقصد الحجاج لزيارة الأماكن المقدسة، والثانية : نظرة احترام وتقدير لعلوم الشرق؛ فهو مهد العلوم الدينية والفقهية والفلسفية واللغوية والشعرية والموسيقية؛ فكان المشرق بالنسبة لهم ينبوع العلم

والعلوم، وبالرغم من ذلك إلا أن رحلة ابن بطوطة أظهرت المجتمع الإسلامي في القرن الثامن الهجري وكأنه يتمتع بوحدة سياسية وروابط متينة، تشد الطبقات بعضها ببعضٍ، فيساعد القوى الضعيف، ويحسن الغنى للفقير، والترحيب بابن السبيل. (ابن بطوطة، تحفة النظار)

معوقات الرحلة :-

لم تكن رحلة ابن بطوطة إلى وادي السند مُعبّدةً وسهلة؛ لِمَا يحُف هذه المنطقة من مخاطر وأخطار وأهوال؛ لبعد هذا المكان من جهة، ولوجود أقوام يشكلون خطرًا كبيرًا على من يريد الوصول لهناك، كالزط Jut والميد (١٠).

بالإضافة إلى العوامل الطبيعية، كالمناخ، مثل العواصف والبرودة الشديدة، والحرارة الشديدة وعوامل أخرى منحها الله إياها، كالصحارى والأشجار، وأيضًا تعرضهم للسرقة من قبل العصابات والقراصنة، الأمر الذي يفسر لنا قلة الرحلات وندرتها بهذا المكان.

لقد نجحت رحلة ابن بطوطة في أداء غرضها، وهذا بفضل الرحالة ابن بطوطة نفسه؛ حيث كان يمتلك الوسائل والامكانيات التي أهلته لذلك؛ فقد كان رحالة وفي الوقت نفسه كان مؤرِّخًا، كما كان قاضيًا غربيًّا ثم شرقيًّا؛ لذا استطاع الخروج وحيدًا منفردًا لقضاء هذه الرحلة، التي كان الغرض منها مبكرًا هو حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول (ρ).

ظل ابن بطوطة وحيدًا حتى التحق بالقوافل عندما أحسن بخطر الطريق، والتحق بهذه القوافل، وأخذ يتنقل من قافلة لأخرى؛ حتى يعاشر البشر ويتعلم منهم؛ حيث سجل في تاريخ رحلته " من طنجة مسقط رأسي يوم الخميس

٢ رجب ٧٢٥هـ/١٣٢٤م، معتمدًا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول –عليه أفضل الصلاة والسلام–، منفردًا عن رفيق آنس بصحبته، وراكب أكون في جملته، لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن في الحيازم؛ فحزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والداي بقيد الحياة، فتحملت لبعدهما وَصَبًا، ولقيت كما لقيا نَصَباً". (السعدى)

قبل أن أتحدث عن بدايات الرحلة أود أن أشير إلى أن المنهج المتبع في هذا النص هو اقتباس النصوص كما أوردها صاحبها، ثم القيام بتحليلها.

بدايات رحلة ابن بطوطة ببلاد السند :–

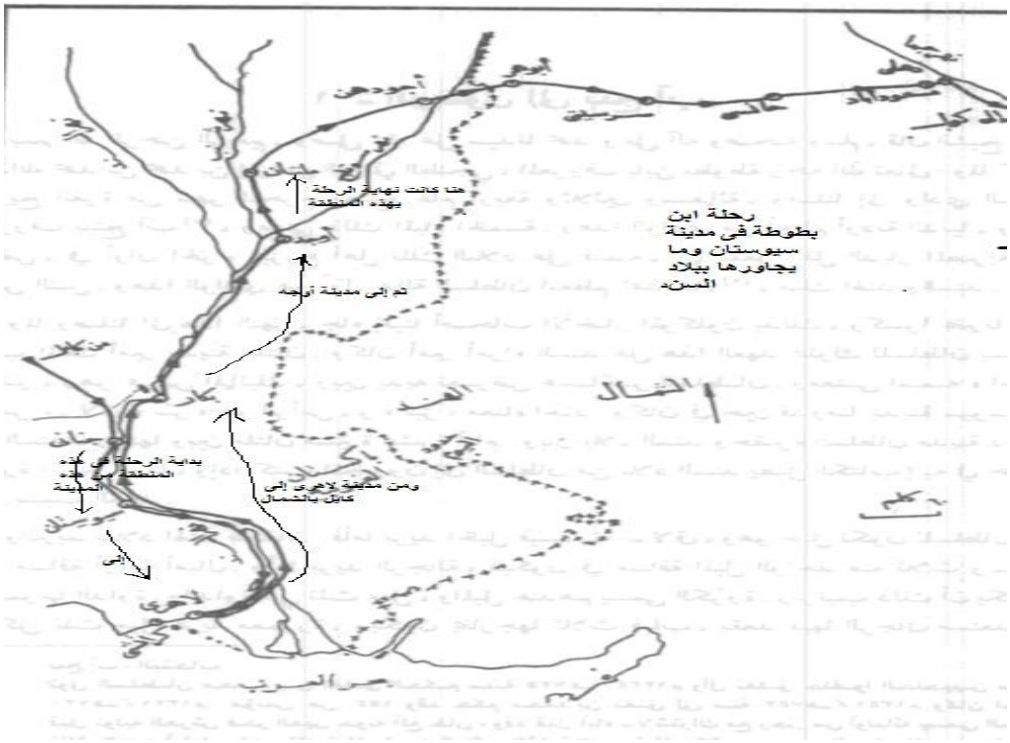

خريطة توضح خط سير رحلة ابن بطوطة في بلاد السند(١١)

تبدأ رحلة ابن بطوطة البرية في وادي السند من شهر محرم عام أربعة وثلاثين وسبعمائة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م المعروف ببنج آب [١٢]، ومعناها المياه الخمسة، أي: بعد خروجه من مسقط رأسه بحوالي تسعة سنوات، فقد كان خروجه للرحلة من البداية عام ٧٢٥هـ /١٣٢٤م. وسوف نبدأ الرحلة من هذا النهر؛ لأنه أول أعمال الملك المعظم محمد شاه[١٣]، ملك الهند والسند، وعندما وصلت الرحلة لهذا الوادي قامت عيون ومخبرو أمير مدينة مُلتان multan [١٤] عاصمة السند بإعلامه بخبر رحلة ابن بطوطة عن طريق البريد، وقد وَضَّحَ ابن بطوطة أن المسافة بين سيوستان وبين ملتان عشرة أيام، وبين حضرة السلطان ومدينة دلهي مسيرة خمسين يومًا ، وعلى الرغم من ذلك كان البريد يصل في خمسة أيام، وهنا أعطانا ابن بطوطة صورة واضحة عن البريد، وقال عنه : " والبريد ببلاد الهند صنفان؛ فأما بريد الخيل فيسمونه الوُلاق[١٥]، بضم الواو وآخره قاف، وهو خيل تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال، وأما بريد الرجّالة[١٦]، فيكون في مسافة الميل[١٧] الواحد منه ثلاث رتب، ويسمونها الدّاوة[١٨]، بالدال المهمل والواو، والدّاوة: هي ثلث ميل ، والميل عندهم يسمى الكروه[١٩]، بضم الكاف والراء، وترتيب ذلك أن يكون في كلّ ثلث ميل قرية معمورة، ويكون بخارجها ثلاث قباب، يقعد فيها الرجال مستعدّين للحركة قد شدّوا أوساطهم، وعند كلّ واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين بأعلاها جلاجل –الجرس– نحاس، فإذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده، والمقرعة ذات الجلاجل باليد الأخرى، وخرج يشتد بمنتهى جهده[٢٠]، فإذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الجلاجل تأهبوا له، فإذا وصلهم أخذ أحدهم الكتاب من يده ومر بأقصى جهده

وهو يحرك المقرعة حتى يصل إلى الدّاوة الأخرى، ولا يزالون كذلك حتى يصل الكتاب إلى حيث يراد منه.

وهذا البريد أسرع من بريد الخيل، وربما حملوا على هذا البريد الفواكه المستطرفة بالهند، من فواكه خراسان، يجعلونها في الأطباق ويشتدون بها حتى تصل إلى السلطان، وكذلك يحملون أيضا الكبار من ذوي الجنايات، يجعلون الرجل منهم على سرير ويرفعونه فوق رؤوسهم ويسيرون به شدا، وكذلك يحملون الماء لشرب السلطان إذا كان بدولة أباد، يحملونه من نهر الكنك[٢١] الذي تحجّ الهنود إليه. وهو على مسيرة أربعين يوما منها، واستكمل حديثه عن المخبرين وأنهم إذا كتبوا إلى السلطان بخبر من يصل إلى بلاده استوعبوا الكتاب وأمعنوا في ذلك[٢٢]، وعرّفوه أنه ورد رجل صورته كذا، ولباسه كذا، وكتبوا عدد أصحابه وغلمانه وخدامه ودوابه وترتيب حاله في حركته وسكونه، وجميع تصرفاته لا يغادرون من ذلك كلّه شيئًا؛ فإذا وصل الوارد إلى مدينة ملتان – وهي قاعدة بلاد السند– أقام بها حتى ينفذ أمر السلطان بقدومه، وما يجرى له من الضيافة، وإنما يكرم الإنسان على قدر ما يظهر من أفعاله وتصرفاته وهمته؛ إذ لا يعرف هنالك ما حسبه ولا آباؤه. (ابن بطوطة ، تحفة النظار)

مما سبق يتضح لنا أن ابن بطوطة قد دخل بلاد السند من ناحية الشمال، وكان دخوله لها برًّا وليس بحرًا، بالرغم أنه كان من الممكن أن يدخلها من الطريق الذى دخلها العرب منه – دخلها العراب من عند الديبل– ،وكان من السهل عليه معرفته واختراقه، لكنه فضل أن يتجول في كل مدن الشمال حتى يصل إلى بلاد السند، ويحقق أغراضًا وأهدافًا كثيرة؛ لذا دخلها من ناحية كابل،

كما كان اختياره هذا المكان للدخول خاضعًا للتمحيص والتدقيق والدراسة؛ فهذا النهر من أطول أنهار القارة الهندية، وهو يجرى من الشمال إلى الجنوب، وقد سار ابن بطوطة حسب جريانه، كما حدثنا –ابن بطوطة– بالتفصيل عن البريد وأنواعه ومسمياته في بلاد السند، وهذه الدقة وهذا الاستطراد يدلان على شدة إعجابه بالبريد هناك، وتعدد أغراضه، واختلافه كل الاختلاف عن البريد في موطن رأسه – المغرب[٢٣]–، وكأن ابن بطوطه بحديثه هذا يريد إعلامنا بأمر هام، ألا وهو تفاجؤه بهذا البريد السريع المتطور، والدقة في توزيع المهام والأدوار على عمال البريد، واختلافه عن نوع البريد المألوف عند ابن بطوطة في بلاد المغرب، وكأنه يتمنى أن يُعمل به في بلاده، كما بين لنا أن هذا البريد لم يقم على عمل واحد؛ حيث تعددت مهامه وأغراضه، فمن هذه الأغراض: توصيل أخبار الغرباء والموفدين للسلطان أو للملك عن طريق تقرير مفصل وشامل، وخضوع هؤلاء الأشخاص للمراقبة حتى يُرى إن كان يُسمح لهم بالدخول أو لا، وهذا طبقًا لأخلاقهم وطبائعهم وليس لحسبهم ولا نسبهم؛ فكانوا ينتقون من يجلس وسطهم؛ حرصًا منهم على مصلحة البلاد والعباد، وقد نجحوا في ذلك مثلما حدث مع ابن بطوطة؛ فبعد دراسته رحبوا به وسطهم وأعطوه قدره ومقامه، وهذا هو الدور الأساسي للبريد، وكان مثلما ينقل الأخبار كان ينقل الأشياء النادرة الوجود في بلادهم والمحببة لهم وللسلطان، ونقل الأشخاص ونقل الماء للسلطان إذا كان بحِيدر آباد جنوب البلاد من النهر الذى يشرب منه. ويؤكد ابن بطوطة على بعد المسافة بين النهر وآباد، التي قد تصل لأكثر من شهر، وبالرغم من ذلك لم يتأخر البريد.

كما وضح ابن بطوطة لنا ضرورة وأهمية شرب السلطان من هذا النهر بالتحديد؛ لأهميته عندهم؛ حيث كان محل تقدير وتقديس واحترام، ولم ينس ابن بطوطه أثناء كلامه أن يوضح مظاهر كرم الغرباء من السلطان بعد إثبات محاسن خلقه.

وكان بذلك الوقت أمير أمراء السند هو سرتيز[٢٤]، وعندما يصل الخبر إلى مدينة ملتان قاعدة بلاد السند يظل المخبرون هناك حتى يصدر أمر السلطان بقدومه، ويتم ضيافة وإكرام هذا الشخص ومن معه بقدر ما يظهره من أفعال وتصرفات وهمته، وليس لحسبه ولا لنسبه [٢٥].

واستكمل سرده في الحديث عن بعض عاداتهم الهامة التي من أجلها تقام العلاقات بين السلطان والوافدين وهي تبادل الهدايا، ولذلك قال ابن بطوطه: إن أول شيء قمت به في هذه البلاد هو أن اشتريت من التجار الخيل والجمال والمماليك، وغيرهم من الأشياء، وقد اشتريت من تاجر عراقي[٢٦] بمدينة غزنه نحو ثلاثين فرسًا وجملًا عليهم حَمل من النُشاب –النبال–؛ لإعطائهم هدية للسلطان، واتفق معه التاجر أن يقتسم معه الهدية التي يردها له السلطان، وبذلك استفاد بسببي فائدة كبيرة، وسار من كبار التجار، ثم عاد لخرسان، وعاد مرة ثانية لبلاد الهند. ويقول عن نفسه: إنه "قد سلبني الكفار ما كان بيدي فلم ألق منه (أي من هذا المال الذي ربحه) خيراً"، وقد قابلت هذا التاجر بعد سنين كثيرة بحلب (بطوطة) (بدوى)

مما سبق يتضح لنا طريقة السرد التي استخدمها ابن بطوطة في الحديث، وكأنها قصة قصيرة سهلة، خالية من التعقيد والمبالغة والتكليف والكذب.

نزول ابن بطوطة لنهر السند :-

ويستكمل ابن بطوطه حديثه فيقول: عندما وصلت إلى نهر السند وتحركت وسط طريق زراعي وخرج عليه الكركدن(٢٧)، وقد عارضه، واستطاع أحد الفرسان أن يتصدى له، لكنه تمكن منه بضرب فرسه الذى كان تحته بقرنه، وقد رأيناه مرة أخرى وهم يسيرون في نفس الطريق، وقد شاهدوه مرة ثالثة عندما تقابلوا مع ملك الهند وقام الفرسان بقتله.

وهنا يعطى لنا ابن بطوطه صورة بسيطة عن الطريق الذى سلكه، وهو طريق زراعي مليء بالحيوانات، خاصة حيوان الكركدن المنتشر بكثرة، والذي كان مصدر إزعاج وقلق بسبب سرعته في الحركة وقرنه الوحيد الذى يعتبر ألة وسلاحًا حادًّا في القتل؛ ولذلك كان الفرسان حريصين كل الحرص على قتله بمجرد رؤيته. وكأن ابن بطوطة أراد بذلك أن يبين لنا مدى المعاناة التي عاناها في رحلته، والأخطار التي واجهها حتى ندرك صعوبة الرحلة، والغريب هنا عدم خوف ابن بطوطة من السير في هذا الطريق الزراعي، رغم وجود هذه النوعية من الحيوانات، وعدم انسحابه من السير في الطريق رغم مقابلته أكثر من مرة، وقد ترجع عدم الرهبة إلى معرفته بهذا النوع من الحيوان من قبل؛ لتوافره في إفريقيا، أو لعلمه بخبره قبل دخوله بلاد السند.

وينتقل بنا ابن بطوطة من القصص وذكر مهاول الطريق إلى دخول المدن وذكر المسافات بينهما ووصفها؛ فيحكى ابن بطوطة أنهم قد ساروا في طريقهم من نهر السند حوالى يومين وبعدها وصلوا لمدينة جَنَاني- شمال مدينة سيوستان-، وقد وصفها لنا بقوله: إنها مدينة ساحلية، أي: تقع على ساحل نهر

السند، وأنها كبيرة المساحة، كما يتوافر بها الأسواق الشهيرة، وذكر أيضًا بعض العناصر السكانية التي كانت تعيش بها، مثل طائفة السامرة [٢٨]، وقال عنهم: إنهم عاشوا بها من القدم حتى استقر بها أسلافهم أثناء فتحها على أيدى المسلمين[٢٩]، فترة ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي[٣٠]. وواصل ابن بطوطة حديثه بقوله: إن الشيخ الإمام العالم العابد الزاهد ركن الدين أبو الشيخ الفقيه الصالح شمس الدين بن الشيخ الإمام العابد الزاهد بهاء الدين زكريا القرشي[٣١]، وهو من الذين أخبرني عنهم الشيخ الصالح برهان الدين الأعرج(٣٢) بمدينة الإسكندرية بأنني سألقاه وأتقابل معه في رحلتي، وكان جده الأكبر محمد بن قاسم القرشي(٣٣)، وقد كان ابن بطوطة حريصًا على العلماء والأولياء والمتصوفة والفقهاء، وحدثنا عن طائفة السامرية بقوله: لا يأكلون مع أحد، ولا ينظر إليهم أحد حين يأكلون، ولا يصاهرون أحدًا من غيرهم، ولا يصاهر إليهم أحد. (ابن بطوطة، تحفة النظار) (نويرى) (المشهدانى ، ٢٠١٥)

مما سبق يتضح لنا أن ابن بطوطة قد ركز في وصف هذه المدينة على عدة نقاط، وهي موقع المدينة ومساحتها، وأهم شيء يبرز قيمتها وأهميتها وهو أسواقها الشهيرة، كما ركز أيضًا على العناصر السكانية التي تعيش في المدينة، ومن أهم هذه العناصر التي لفتت انتباهه طائفة السامرة، وقد تكلم عن بعض خصالهم وطرق معيشتهم، وكأنه لم يقابلهم ولم يسمع عنهم من قبل، رغم وجودهم في أماكن أخرى كثيرة. وكلام ابن بطوطة يتشابه كثيرًا مع كلام بعض المؤرخين عندما تحدث عنهم قائلًا: إنهم لهم أماكنهم التي يعيشون فيها، ولا

يأكلون إلا ما يطبخونه، ولذلك كانت لهم مخابزهم ومحلاتهم الخاصة بهم [٣٤]، معلنين بذلك رفضهم الخلطة والاحتكاك بالناس.

ويستمر ابن بطوطة في الحديث عن السامرة وأدوارهم في السند وصراعاتهم الداخلية، فيقول: وكان عليهم أمير يدعى وُنَار السامري وقيصر الرومي، وكانوا في خدمة السلطان، ومعهما ألف وثمانمائة فارس، كما كان يسكن بهذه المدينة كافر من الهنود اسمه رتن، وهو من الحذاق بالحساب والكتابة؛ فوفد على ملك الهند مع بعض الأمراء فاستحسنه السلطان وسماه عظيم السند، وولاه بتلك البلاد، وأقطعه سيوستان[٣٥] (سَدُوسان) وأعمالها، وأعطاه المراتب وهى الأطبال والعلامات، كما يعطى كبار الأمراء، وبذلك يكون قد عظم شأنه على ونار وقيصر اللذين انزعجا لهذا الأمر، وعزموا على قتله، وبالفعل قتلوه، واحتلوا المدينة بكل ما كان بها من مال وسلطان وهما اثنا عشر لكا، واللك: هو مائة ألف دينار، وصرف اللّك عشرة آلاف دينار من ذهب الهند، وصرف الدينار الهندي ديناران ونصف دينار من ذهب المغرب[٣٦]، وقدموا عليهم ونار، وسموه ملك فيروز، وقسم الأموال على العساكر، ولكنه خاف على نفسه لبعده عن قبيلته؛ فعاد إليها، وعين العساكر مكانه قيصر، وهنا وصل خبرهم إلى عماد سرتيز، وكان أمير من أمراء السند سكن بملتان، فجمع عساكره وتجمع ببعضها برًّا والأخرى بحرًا بنهر السند، وكان بين ملتان وسيوستان عشرة أيام، وخرج إليه قيصر، وانتهى اللقاء بينهما بهزيمة قيصر أشنع هزيمة، وتحصنوا بمدينة سيوستان، فحاصرهم سرتيز ونصب المجانيق عليهم، حتى اشتد الحصار عليهم، وطلبوا الأمان بعد أربعين يومًا من نزوله عليهم، فأعطاهم الأمان، فلما نزلوا إليه

غدرهم وأخذ أموالهم وأمر بقتلهم، فكان كل يوم يضرب من أعناقهم، وكان يسلخ أخرين منهم ويملأ جلودهم تبنًا ويعلقها على السور، وجمع رؤوسهم في وسط المدينة فكانت مثل التل هناك، ولذلك سماها ابن بطوطة حكاية تل الرؤوس. (ابن بطوطة ، تحفة النظار) (نويرى) (المشهدانى ، ٢٠١٥)

مما سبق يتضح لنا أن ابن بطوطة قام بالتحدث بشيء من التفصيل عن صراعات طوائف السامرة التي شاهدها، فقال: إن السلطان كان يثق في قدرة هذه الطائفة، ولذلك جعلهم على خدمته، وعين عليهم أميرين منهم؛ لكى يتولوا هذا الأمر، وكان عددهم حوالى ألف وثماني مائة فارس، وهنا حظوا بمكانة كبيرة عند السلطان، وقد تصادف أن ظهر شخص على الساحة في تلك الفترة من كفار الهند، لكنه كان بارعًا وماهرًا في علمي الكتابة والحساب، ودخل على السلطان وكان معه من يؤيده من الأمراء، وعندما علم السلطان بمهارته وكفاءته لم ينظر لأي شيء آخر، وتمعن ودقق النظر في مهاراته التي أغنت السلطان عن أي شيء، وكافأه على هذا العلم بأن أطلق عليه تسمية عظيم الهند، وليس هذا فقط؛ فقد عيّنه واليًا على قطعة من أهم قطع الهند، ألا وهي سيوستان، كما عامله معاملة كبار الأمراء، وبهذا يتضح لنا مدى اهتمام السلطان وحرصه وتقديره للعلم والعلماء، بغض النظر عن جنسياتهم أو ديانتهم بقدر ما يهمه الحركة العلمية والتعليمة في بلاطه، وبذلك يكون هذا الشخص بعلمه وكفاءته قد حل محل طائفة السامرة، وبمرور الوقت تحول هذا الأمر إلى صراع داخلي بين طائفة السامرة وعظيم السند، وعزم السامرة على قتله، وهنا دخلوا سيوستان ونهبوا كل ما كان بداخلها، وقد وضح لنا ابن بطوطة جملة ما أخذوه من هذه المدينة

وهو ١٢ لكا [٣٧]، وهنا تحدث- ابن بطوطة- عن الفرق بين عملة هذه البلاد وعملة بلاد المغرب؛ تأكيدًا منه على تفوقها على عملة بلاده؛ فقال: إن الدينار الهندي الواحد يساوى ضعفين ونصف دينار المغرب، وهنا ينتهي الصراع بانتصار السامرة، وعُيِّن أحدهم مكان عظيم السند، لكنه خاف وانسحب إلى المكان الذى تعيش فيه قبيلته "جنانى ".

وعَين مكانه صديق له، وهنا يبن لنا ابن بطوطة رد فعل السلطان هناك، كما أظهر لنا المسافات بين مكان الواقعة والعاصمة ملتان، وكيفية وصول الأخبار بهذه السرعة، والبت في الأمر معبرًا بإعجابه للمرة الثانية بالبريد ودوره؛ فقال: إن المسافة بين سيوستان والعاصمة عشرة أيام، وعلى الرغم من ذلك وصل الخبر لأمير الأمراء – سرتيز- وحضر الأمير واستطاع هزيمتهم؛ مما ألجأهم إلى التحصن بمدينة سيوستان لمدة أربعين يومًا؛ مما يدل على تمتع المدينة بالحصون القوية والأسوار العالية؛ مما جعلهم يحتمون بها أكثر من شهر، عندئذٍ طلب السامرة الصلح فأعطاهم الأمير إياه، وهنا يبن ابن بطوطة أنه أعطاهم إياه في الظاهر، وفي الباطن كان يُكِنُّ لهم الغدر؛ بدليل أنه بمجرد نزولهم غدر بهم، وهنا أخذ الأمير كل أموالهم وقتل بعضهم، فكان كل يوم يقتل بعضهم؛ حتى يقع الخوف والرعب في قلوبهم وقلوب من يراهم، وكان يسلخ البعض الآخر ويحشوا جلودهم بالتبن ويعلقها على السور، ويقول ابن بطوطة: إنه قد جمع رؤوسهم وكانت مثل التل. وهذا كله يوضح عدم تهاون السلطات هناك في الخيانة.

وقال ابن بطوطة: إنه نزل بسيوستان إثر هذه الموقعة ونزل بإحدى مدارسها، وأنه كان ينام على سطحها حينما قدم سنة١٣٣٣م /٧٣٤هـ أيام السلطان محمد

تغلق شاه[٣٨] ،وهي مدرسة كبرى، ولها دور كبير في العلم والتدريس وخدمة العلوم الإسلامية ونشر اللغة العربية، كما كانت مركزًا للتعليم الإسلامي في سلطنة دلهي الإسلامية، ومحطةً لزيارة عدد من العلماء الذين مارسوا التدريس فيها. (ابراهيم ، ٢٠١٧)

وهذا يرجع إلى نشاط الحركة التعليمية بالسند في تلك الفترة؛ حيث شهد العصر التغلقي ازدهارًا في الحركة التعليمية وبناء المدارس؛ فبرز في هذا الميدان السلطان محمد تغلق سلطانًا عالميًّا مشاركًا في الحكمة ومحبًا للعلم؛ فتواضع للعلماء وأنفق عليهم الكثير من أمواله، كما أكرم العلماء الوافدين على بلاطه، وحظى بعضهم بالولايات والمناصب الإدارية؛ حتى إنه سمى الغرباء في عهده بالأعزة[٣٩]، ومن بين الذين وفدوا أثناء مدة حكمه ابن بطوطة ٧٣٤هـ/١٣٣٧م؛ إذ حظي بمكانة رفيعة هناك، وتولى منصب القضاء في دلهي، وقد تحدث عما شاهده هناك من دين والتزام واهتمام به، فقد مثلت مدة زيارة ابن بطوطة هناك قمة ما وصلت إليه تلك السلطنة من اهتمام بالعلوم الإسلامية وإقامة مراكز التعليم، فذكر ابن بطوطة عددًا من المدارس الهامة هناك، وأبرزها مدرسة سيوستان Sustan –كما سبق أن ذكرنا– والتي أسسها السلطان محمد تغلق، وقال: إنها انتشرت بها الثقافة العربية الإسلامية وتنوعت فيها مناهج التعليم؛ حتى إن ابن بطوطة قد باشرها بنفسه، غير سكنه فيها. (بطوطة، تحفة النظار) (نويرى) (المشهداني ، ٢٠١٥)

ويرجع الفضل الأكبر في انتشار العلوم الإسلامية واللغة العربية بشكل كبير في تلك الفترة إلى محمد بن تغلق بن شاه، وقد أراد ابن بطوطه بحديثه هذا

توضيح مدى قيمة العلم والعلماء والفقهاء والشيوخ بالسند، الأمر الذي جعله يأخذ وضعه بهذه البلاد، وزاد من رغبته في البقاء فيها فترة طويلة وصل فيها إلى المناصب؛ لكونها بلد يقدر العلم والعلماء.

☚وصف ابن بطوطة لسيوستان:-

وصف ابن بطوطة مدينة سِيوَسِتان بأنها مدينة كبيرة، وخارجها صحراء ورمال، لا شجر بها إلا شجر أم غيلان(٤٠)، ولا يزرع على نهرها شيء غير البطيخ، وطعامهم الذرة والجلبان(٤١)، ويسمونه المُشُنك (٤٢)، ومنه يصنعون الخبز، وأنها مدينة كثيرة السمك والألبان الجاموسية، وأهلها يأكلون السقنقور(٤٣)، وهي دويبة شبيه بأم حبين(٤٤)، التي يسميها المغاربة حنيشة الجنة، إلا أنها لا ذنَب (ذيل) لها، كما رأيتهم يحتفرون الرمل ويستخرجونها منه، ويشقون بطنها ويرمون ما فيها ويحشونها بالكركم، ويسمونه زردشوبة (٤٥)، ومعناها العود الأصفر، وهو عندهم عود الزعفران. قال: ولما رأيتهم يأكلون تلك الدويبة استقذرتها فلم آكلها.

وهنا يدخل بنا ابن بطوطة في وصف مدينة سيوستان بعد انتهائه من المشاكل والمذابح والناحية التعلمية؛ فيقول عنها: إنها مدينة كبيرة المساحة، وبالرغم من ذلك محصنة ومؤمنة بفضل ما منحها الله إياه من عوامل طبيعية، كالصحارى الواسعة التي تحيط بها من كل اتجاه وجانب، والتي لعبت دورًا كبيرًا في الحفاظ على المدينة والدفاع عنها، وليس هذا وفقط ، فكان هناك أيضًا أنواع من الأشجار لعبت دورًا كبيرًا في الحفاظ عن المدينة، وهي شجر الغيلان، كما تحدث عن أهم الزراعات الموجودة بها، مثل البطيخ، وتحدث عن أهم أطعمتهم،

وهي الذرة والجلبان والمشنك الذى يصنعون منه خبزهم، كما قال: إن المدينة غنية بالثروة السمكية والحيوانية، ولم يكتف بذلك، بل تناول أثناء حديثه الأطعمة المحببة لديهم، مثل السقنقور – دابة صغيرة شبيه بأم حبين – وكيف يُعدون هذه الوجبة من الطعام، ولكنه لم يفضل أكلها.

وصف ابن بطوطة للطقس بمدينة سيوستان:-

قال: ودخلت هذه المدينة في احتدام القيظ [٤٦] وحرها الشديد ، فكان أصحابي يجلسون عريانين، أي فوطة في وسطهم وأخرى على كتفهم مبلولة بالماء، فما يمضى اليسير من الوقت حتى تيبس الفوطة فيبلها مرة أخرى، وهكذا أبدا، ولقيت بهذه المدينة خطيبها[٤٧]، وقد أراني كتاب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لجده الأعلى بخطابة هذه المدينة، وهم يتوارثونها من ذلك العهد حتى الآن. ونص الكتاب:

"هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لفلان، وتاريخه سنة تسع وتسعين وعليه مكتوب بخط أمير المؤمنين : الحمد لله وحده على ما أخبرني الخطيب المذكور". ولقيت بها الشيخ المعمر محمد البغدادي، وهو بالزاوية التي على قبر الشيخ الصالح عثمان المِرَنِدِي، وذكر أن عمره يزيد عن مائة وأربعين سنة، وأنه حضر مقتل المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس لما قتله الكافر هارون بن تنكيز التتري، وهذا الشيخ على كبر سنه كان قوي الجثة يتصرف على قدميه (٤٨). (بطوطة، تحفة النظار) (جرار)

وقد ذكر لنا ابن بطوطة حالة الطقس، وتحدث عن شدة حرارتها، مما يظهر قوته وقدرته على تحمل المشاق من أجل الرحلة، فهو شخص أتى من أقصى

المغرب الذى يتمتع بطقس بارد ومعتدلٍ، ولا يشبه الجو بالسند، ومما يدلل على صعوبة هذا الجو تعامل أصحاب ابن بطوطة مع الحرارة الشديدة بقيامهم بالجلوس بدون ملابس، لا يوجد منها غير فوطة بوسطهم، وأخرى على كتفهم مبلولة، الأمر الذي يدل على الاختلاف الشديد بين البيئات في المشرق عنها في المغرب، وقد تحمل هذه الصعاب من أجل تحقيق الهدف المرجو من رحلته.

وعلى الرغم من كل هذا الا أن ابن بطوطة قرر الرحيل عن هذه المدينة وهذا المكان المحبب لقلبه؛ فقال: إنه لم تطب نفسه بالسكن على سطح المدرسة، وانتقل منها بسبب اشمئزاز نفسه من رؤية الجلود المصلوبة أمامه، وكان الفقيه العادل علاء الدين الخراساني المعروف بفصيح الدين قاضى هراة قد وفد على أمير السند وولاه مدينة لاهرى وأعمال من بلاد السند، وكان قد قد حضر هذه المذبحة مع عماد الدين سرتيز بمن معه من العساكر، وقد انتقل معه ابن بطوطة إلى مدينة لاهرى (٤٩)، فقد كان معه خمسة عشر مركبًا في نهر السند تحمل أثقاله. (بطوطة، تحفة النظار)

كان ابن بطوطة يفضل اصطحاب العلماء والفقهاء والشيوخ، ويحن لموطنه ونشأته التي تربى عليها، والدليل على ذلك أنه بمجرد مقابلته الفقيه علاء الدين الخراساني صَاحبه وخشي أن تفوته هذه الفرصة، وترك سيوستان وتحرك معه لأي مكان دون أن يعلمه؛ حرصًا على اكتساب المزيد من العلم والمعرفة .

وكان من جُملة سُفن علاء الملك سفينة تعرف بالأهورة، وهي نوع من الطريدة [٥٠]، لكنها أوسع وأقصر منها، وعلى نصفها مرعش من خشب يصعد له على

درج، وفوقه مجلس مهيأ لجلوس الأمير، ويجلس أصحابه بين يديه، ويقف المماليك يمينه ويساره، والرجال يقذفون وهم نحو أربعين .

ومع هذه الأهورة أربعة من السفن يمينًا ويسارًا، اثنان منهما فيهما مراتب الأمير(٥١)، والآخران فيهما أهل الطرب؛ فتضرب الطبول والأبواق ويغني المغنون، ولا يزالون كذلك من أول النهار حتى وقت الغذاء، فإذا كان وقت الغذاء انضمت المراكب واتصل بعضها ببعض، وأتى أهل الطرب إلى أهورة الأمير، فيغنون إلى أن يفرغ من أكله، ثم يأكلون ويعودون إلى مراكبهم، ويبدؤون في المسير حتى الليل، ثم ضربت المحلة (الإقامة) على شاطئ النهر، ونزل الأمير لخيامه، ومد السماط –نسيج من ثوب ما يوضع على المأدبة– وحضر الطعام معظم العسكر، فإذا صلوا العشاء سمر –الحديث ليلًا – السُمار بالليل نُوبًا: جماعات–، فإذا أتم أهل النوبة منهم نوبتهم نادى منادٍ منهم بصوت عالٍ يا خوند ملك (يا سيد) قد مضى من الليل كذا ساعات، ثم يسمر أهل النوبة الأخرى، فإذا أتموها نادى مناديهم أيضا مُعْلِمًا بما مر من الساعات، حتى يأتي الصبح، وتضرب الأبواق والطبول، ويصلون ويأكلون ثم يتحركون نهرًا مثل الطريقة السابقة، أو برًّا بضرب الأطبال والأبواق، ويتقدم حُجّابه ثم تلاهم المشاؤون، وبين الحجاب ستة من الفرسان عند ثلاثة منهم أطبال، وعند ثلاثة صرنايات، فإذا أقبلوا على قرية أو ما هو من الأرض مرتفع ضربوا تلك الأطبال والصرنايات. (بطوطة، تحفة النظار ،تحقيق عبد الهادى التازى)

ويقف ابن بطوطة معبرًا عن اندهاشه وشدة إعجابه بحركة سير الأمير وجنوده وانتقالهم من مدينة لآخرى، وكأنه كان في حاجة إلى هذه الصحبة؛

لتخرجه مما شاهده في مذبحة تل الرؤوس، فيقول أثناء سيره مع علاء الملك: لاحظت وجود سفينة مميزة وسط السفن عرفت باسم الأهورة، وهي سفينة سلطانية، وشبهها بالسفن التي تحمل الخيل؛ فهذه السفن تتسع لحمل أربعين خيل، وبالرغم من ذلك قال ابن بطوطة: إنها أوسع منها، ولكنها قصيرة، وبها مكان مهيأ لجلوس الأمير، وأصحابه كانوا يجلسون بين يديه، والعبيد يمينًا ويسارًا، كما أن هذه الأهورة محاطة بأربع سفن يمينًا ويسارًا، اثنان منهما فيهما علامات وطبول وأبواق وأنفار وصرنايات (مزمار)، والآخران كانا يحملان أهل الطرب، ويحكى ابن بطوطة أنهم يغنون من أول النهار حتى وقت الغذاء، وعندما يأتي الغذاء تنضم المراكب لبعضها، وينزل المغنون إلى السفينة الرئيسية التي بها الأمير حتى ينتهى من غذائه، ثم هم يأكلون ويعودون لمراكبهم، وتظل السفن في طريقها بنهر السند حتى حلول الليل، وينزلون إلى الشاطئ، ويصلون ويأكلون حتى حلول الصبح؛ فيصلون ويأكلون ثم يتحركون إما نهرًا و إما برًّا، ولم يكتف ابن بطوطة بوصف السير نهرًا، بل أراد أيضًا أن يعطينا صورة لحركة السير برًّا؛ فيقول: إن الطبول تدق ويتقدم الموكب الحجاب ثم المشاؤون، ويكون بين الحجاب ستة فرسان، ثلاثة منهم معهم الأطبال، والثلاثة الآخرين معهم الصرنايات، وعن يمين الحجاب ويسارهم المغنون حتى وقت الغذاء. وقال ابن بطوطة: إنه ظل في سفره مع علاء الملك خمسة أيام حتى وصلوا إلى مدينة لاهري، وكأنه –ابن بطوطة– أراد بذلك أن يقدر المسافة بين مدينة سيوستان وبين مدينة لاهري بمسافة تقطع في خمسة أيام . (بطوطة، تحفة النظار ،تحقيق عبد الهادى التازى)

وبذلك يعطينا ابن بطوطة صورة مصغرة عن الحالة الاقتصادية والوضع المادي بهذه المنطقة تلك الفترة، موضحًا بها الرخاء والانتعاش الاقتصادي، كما وضح لنا مدى الالتزام وعدم انغماسهم في اللهو والغناء عن العمل والعبادة؛ فكأن كل شيء عندهم بمقدار، ويخضع لتخطيط وتدبير محكم، كما وضح مدى حرصهم وحفاظهم على عنصر الزمن، كما أننا لاحظنا من خلال رؤية ابن بطوطة مدى حرصهم على أداء الصلاة في أوقاتها والحفاظ عليها.

ابن بطوطة في مدينة لاهري[٥٢]

وبعد ذلك التفصيل يحكى ابن بطوطة أنه تحرك مع علاء الملك خمسة أيام، ووصلت معه إلى موضع ولايته، وهي مدينة لاهري وتحدث عنها قائلًا: إنها مدينة حسنة على ساحل البحر الكبير، وبها يصب نهر السند في البحر، فيلتقى بها بحران، ولها مرسى عظيم، يأتي إليه أهل اليمن وفارس وغيرهم؛ ولذلك عظمت جبايتها وكثرت أموالها، وقد أخبره علاء الملك أن جباة هذه المدينة ستون لكا في السنة، وللأمير من ذلك نيم (ده يك) نصف العشر، ولعمال السلطان نصف العشر. (بطوطة، تحفة النظار ،تحقيق عبد الهادى التازى)

مما سبق يتبين لنا أن مدينة لاهري تقع موقعًا استراتيجيًّا حصينًا بملتقى بحر ونهر من أطول وأهم الأنهار، وكان من أسرار أهميتها وبقائها، وسبب تميزها بين مدن السند ورخائها وانتعاشها مما يجعلنا نربط بين موكب واليها وحالتها الاقتصادية التي كانت سببًا رئيسًا في كل هذا البذخ والإسراف، فميناؤها كان سبب الخير بها، وزاد من دخلها وثرائها .

وأراد ابن بطوطة ألا يترك صحبة علاء الملك؛ لإحساسه بفائدة صحبته، وحصوله على المزيد من العلم حتى انتهوا إلى بسيط من الأرض على بعد يُعرف بتارنا على بعد سبعة أميال: ورأيت هناك ما لا يحصره العد من الحجارة على صورة الأدميين والبهائم، ومنها ما هو على صورة حبوب من البُر (القمح) والحمص والفول والعدس، وهناك آثار سور وجدران دور، ورأينا رسم دار فيها بيت من حجارة منحوتة، وفي وسطه دكانة من الحجارة منحوتة كأنها حجر واحد عليها صورة آدامي، إلا أن رأسه طويلة وفمه في جانب واحد من وجهه، ويداه خلف ظهره كالمكتوف، وهناك مياه شديدة النتن، وكتابة على بعض الجدران بالهندي، وأخبرني علاء الملك أن أهل التاريخ يزعمون أن هذا الموضع كانت فيه مدينة أكثرَ أهلها الفسادَ فمُسخوا حجارة، وأن ملكها هو الذى كانت صورته على الجدران، وهي الآن تسمى دار الملك، وأن الكتابة التي على الجدران هي كتابة بالهندي، وتعني تاريخ هلاك أهل هذه المدينة، وكان ذلك منذ ألف سنة أو نحوها، وقد أقام ابن بطوطة بهذه المدينة خمسة أيام مع علاء الملك، ثم أحسن في الزاد.

ثم انصرفت عنه إلى مدينة بَكار[٥٣]، هي مدينة حسنة، يشقها خليج من نهر السند، وفي وسط ذلك الخليج زاوية حسنة فيها الطعام والشراب للوارد والصادر، عَمرها كشلوخان[٥٤] أيام وعشرون عامًا، ولقيت بهذه المدينة الفقيه الإمام صدر الدين الحنفي[٥٥]، كما لقيت بها أبا حنيفة –قاضى المدينة – الشيخ العابد الزاهد شمس الدين محمد الشيرازي[٥٦]، وهو من المعُمرين؛ فذكر أن سنه يزيد عن مائة وعشرين سنة . (بطوطة، تحفة النظار)

وكان من أبرز مظاهر إعجاب ابن بطوطة بمدينة بكار أنها مدينة حديثة الإنشاء، وبالرغم من ذلك تتمتع بموقع حصين، وأبرز ما يوجد بها زاوية مُعَدَّة ومجهزة لطعام الصادر والوارد من المدينة، كما كان ابن بطوطة حريصًا على مقابلة العلماء والفقهاء والقضاة والشيوخ، وكانت هذه المقابلة مصدر فرح له؛ فهي من أكثر المدن التي قابل بها هذه الفئة، مما يدل على حرص هذه المدينة على العلم والعلماء.

ثم سافرت من بكار إلى مدينة أوجة(٥٧)، وقال عنها ابن بطوطة: إنها مدينة كبيرة على نهر السند، لها أسواق حسنة، وعمارة جيدة، وكان الأمير بها الملك الفاضل الشريف جلال الدين الكيجى، أحد الشجعان الكرماء، وبهذه المدينة توفي بعد سقطة سقطها من على فرسه. وقد نشأ بيني وبينه مودة، وتأكدت بيننا الصحبة والمحبة، واجتمعنا بحضرة دلهي، فلما سافرنا إلى أباد وأمرني بالإقامة بالحضرة، قال لي: " إنك تحتاج نفقة كبيرة، والسلطان تطول غيبته، فخذ قريتي واستغلها حتى يعود. ففعلت ذلك واستغللت منها خمسة آلاف دينار.

كما لقيت بهذه المدينة الشيخ العابد الزاهد الشريف قطب الدين حيدر العلوى(٥٨)، وألبسني الخرقة، وهو من كبار الصالحين، ولم يزل الثوب معه حتى أخذه منه كفار هنود البحر. (بطوطة، تحفة النظار ،تحقيق طلال حرب)

كانت مدينتا بكار وأوجه مهبط للعلماء؛ فقد تحدث ابن بطوطة عن أكثر من ستة من الشيوخ والفقهاء والعلماء بهاتين المدينتين، وقال عن إحداهما: إنها مركز إسلامي يحتضن العلماء، كما دارت بينه وبين أحدهما علاقة مودة وصداقة، استفاد منها ابن بطوطة فائدة كبيرة.

ثم سافرت من مدينة أوجة إلى مدينة ملتان[٥٩] ، وضبط اسمها بضم الميم وتاء معلوة، وهي قاعدة بلاد السند، ومسكن أمير أمرائه، وفي الطريق إليها وعلى مسافة عشرة أميال يقع الوادي المعروف بخسرو آباد من الأودية الكبار، وكانت عاداتهم حين وصولنا إليها أخذ الربع من كل ما يجلبه التجار، وعلى كل فرس سبعة دنانير مغرمًا، ثم بعد وصولنا إلى الهند بسنتين رفع السلطان تلك المغارم، ونمت في هذه الليلة على شاطئ الوادي، حتى جاء صاحب البريد[٦٠]، وهو الذى يكتب للسلطان بأخبار تلك المدينة، وما يحدث بها وما يصل إليها، فتعرفت به ودخلت بصحبته إلى أمير ملتان، وهو قطب الملك من كبار الأمراء وفضلائهم، لما دخلت قام إليَّ وصافحني وأجلسني إلى جانبه، وأهديت له مملوكًا وفرسًا وشيئًا من الزبيب واللوز، وهو من أعظم ما يهدى إليهم؛ لأنه ليس ببلادهم، وإنما يجلب من خراسان، وكان الأمير يجلس على دكانة (مصطبة) كبيرة، عليها البسط، وعلى مقربة منه القاضي، ويسمى سالار والخطيب، وعن يمينه ويساره أمراء الأجناد، وأهل السلاح على رأسه، والعساكر تعرض بين يديه، وعندما دخلنا على هذا الأمير أمر بإنزالنا في دار خارج المدينة، وهي لأصحاب الشيخ العابد ركن الدين، وعاداتهم ألا يضيفوا أحدًا حتى يأمر السلطان، وممن اجتمعت بهم من الغرباء الوافدين على حضرة ملك الهند خذاوند زاده قوام الدين قاضي ترمذ، ومبارك شاه أحد كبار سمرقند، وأرون بغا أحد كبار بخارى، وبعد شهرين من وصولي ملتان وصل أحد الحجاب للسلطان، وهو شمس الدين البوشنجي، والملك محمد الهروي الكتوال، قد بعثهم الملك لاستقبال خذاوند، ومعهم ثلاثة من الفتيان، وسألوني جميعًا: لماذا قَدِمتَ؟ فقلت لهم: إني قدمت

لخدمة السلطان خوند عالم، كما أعلمتهم بأنني أود الإقامة هنا؛ فكتبوا ذلك عقدًا عليَّ، وهنا تجهزنا للسفر إلى الحضرة، وبينها وبين ملتان أربعين يومًا ،وقد أكرمونا قبل السفر، وقدموا لنا الطعام، ثم سافرنا من مدينة ملتان إلى الهند · (بطوطة، تحفة النظار ،تحقيق طلال حرب)

ويتوقف بنا البحث في هذه الأثناء؛ نظرًا لانتقال ابن بطوطة إلى إقليم الهند وحدوده، ومجاوزته للمنطقة محل البحث والدراسة.

وقبل أن أختتم بحثي أود القيام بعمل مقارنة بين ابن بطوطة وغيره ممن زاروا المكان قبله، رغم تفاوت الفترة الزمنية، ولكني وددت بذلك توضيح الدور الكبير والمجهود العظيم الذي قام به ابن بطوطة، وليس معنى ذلك التقليل من شأن سابقه، وهذا كله من أجل توضيح مدى بُعد ابن بطوطة عن مجهود وأعمال سابقيه، ورغبته الملحة في الإتيان بكل ما هو جديد، وتحمل الصعاب والمعاناة من أجل تحيق هدفه، ولذا قمت بذكر بعض الرحالة والجغرافيين السابقين له، ومن الرحلات التي سبقت رحلة ابن بطوطة بكثير: بزرك بن شهريار ناخذاه (ملك السفينة) واختيار هذا الرحالة بالتحديد لعدة اسباب، أهمها: أنه من أوائل الرحلات وأهمها، وكانت هذه الرحلة التي قامت في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي سبباً لشهرته؛ حيث جاء وصفه فيها أوسع وأشمل.

فأهم ما ذكره بزرك عن بلاد السند أنه أراد أن يوضح التمازج بين اللغة العربية واللغات الهندية، فكان القادة المسلمون والعلماء يخطبون خطب الجمعة، ويمارسون الدراسة باللغة العربية؛ فتعلمت مجموعة من الهنود اللغة العربية، كما

استقرت مجموعة عربية عندما وصلوا حوض نهر السند، وتعلموا اللغات السائدة هناك، وقد كان للقرآن الكريم والسنة النبوية دور كبير في انتشار اللغة العربية أينما اتجه المسلمون، وبدأت الترجمة من العربية إلى اللغات الهندية، فقد ترجم بعض القرآن الكريم إلى اللغة السندية. (الكرياسى ، ٢٠٠٩)؛ فقال بزرك: إنه روى له أبو محمد الحسن بن عمرو بن حمويه بن حرام بن حمويه بالبصرة سنة ٢٨٨هـ قصة إسلام ملك من ملوك المنطقة هناك، وهو ملك الرا – بلدة قديمة بالسند–، وقد كان أبو محمد هذا في المنصورة بالسند، وحدثه بعض مشايخها أن ملك الرا مهروك بن رائق كتب لصاحب المنصورة [٦١]؛ ليفسر له عن شريعة الإسلام باللغة الهندية، واستجاب له عبد الله، وأحضر له شخصًا عراقيًّا، لكنه نشأ بالهند وتعلم كل لغاتهم وفسر له ما أراد، واستحسن ملك الرا ما قام به هذا الرجل، وعلى الفور طلب إحضاره له في الشمال بكشمير ونُفذ طلبه، وأقام هذا الرجل العراقي عند الملك ثلاث سنوات ثم عاد لبلاده، وعندما رجع سأله صاحب المنصورة عبد الله عن ملك الرا، فقال له: قد تركه وقد أسلم قلبه ولسانه، إلا أنه لم يظهر الاسلام؛ خوفًا على ملكه، وحكى له بعض ما شاهده عليه عندما طلب منه تفسير بعض الآيات له، مثل: (قال من يحي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم.....) صدق الله العظيم؛ فطلب منه أن يعيدها عليه مرة ثانية ونفذ له طلبه، وبعدها نزل الملك من على سريره المرصع بالذهب إلى الأرض ووضع خده على الأرض، ثم بكى وقال: هذا هو الرب المعبود، والأول القديم الذى لا يشبهه أحد، ثم بنى بيتًا لنفسه وأظهر أنه يخلو فيه لمهمة في حين أنه يتعبد في الخفاء، وقد وهب للرجل العراقي ستمائة

مَنٌّ – مكيال عراقي، سعته رطلان ما يساوى ٨١٥و ٣٩ . % جرام تقريبًا– من ذهب على ثلاث دفعات، ولم يقتصر حديث بزرك على ذلك، فكان من أهم ما ذكره وصفه لبعض مدن السند، مثل المنصورة التي قال عنها: إنها قاعدة بلاد السند، وهي تقع عليه، وذكر أيضًا نهر الكنك المقدس عندهم. (شهاب ، ٢٠١٠)

ويظهر من حديثه ميله إلى القصص، كما أنه يذكر المكاييل كما هو معروف في بلاد فارس والعراق، على عكس ابن بطوطة الذى ذكرها بما هو متعارف عليه في بلاد السند، والأكثر من ذلك أنه عمل مقارنة بينها وبين ما يوجد في بلاده، كما ذكر بعض المدن وأهمها المنصورة، وهذه المدينة لم يذكرها ابن بطوطة أثناء رحلته؛ نظرًا لوضعها الكبير في فترة زيارة بزرك؛ حيث كانت عاصمة للمسلمين، وفي فترة ابن بطوطة كانت قد تحولت العاصمة إلى ملتان، والتي شملها أيضًا برعايته، كما ذكر بزرك نهر الكنك، وقال عنه: إن مصبه موجود بكشمير الخارجية، وهو نهر مقدس عند الهندوس، وقد اتفق معه ابن بطوطة في هذه النقطة، وزاد عليها أن الملك لا يشرب إلا منه.

كما تحدث عن المسافات بين المدن، مثل كشمير، ومدينة المنصورة، وقال: بينهم مسيرة سبعين يومًا في البر، كما قارن نهر السند (مهران) في جريانه بنهري دجله والفرات، وقد عرض كل منهما – بزرك وابن بطوطة – هذا النهر كُلٌّ بطريقته؛ فبزرك اكتفى بهذا التشبيه وذكره بنهر مهران، لكن ابن بطوطة وصفه وذكره باسمه بنج آب، ووصف أغلب المدن التي تقع عليه.

كما تحدث بزرك بالتفصيل عن التجارة بنهر التجارة ومرورها؛ فقال: إنهم بهذه المنطقة يعبئون القُسط [٦٢] في أعدال (أكياس كبيرة)، وفي كل واحدة منهما سبعمائة أو ثمانمائة مَنٍّ، ثم يتحدث عن طريقة تجليده وتغليفه بطريقة جيدة حتى لا يدخله الماء؛ فيقول: إنهم يلفونه بالجلد وفوق الجلد القار (القطران على اللزوجة) لعزل الماء، ويقرنون الأعدال ويشدونها، ويجلسون عليها، وينحدرون في مهران، فيصلون إلى المنصورة في أربعين يومًا، ثم يتحدث مرة ثانية عن منابع نهر السند في كشمير وينحدر مهران إلى المنصورة، وتنتهى رحلته في البحر، ويقول: وقد تكون المنصورة هي كراتشي حاليًا أو القريب منه، والأصح القريب منه. ويقول: إنه على الرغم من طول المسافة بين كشمير والمنصورة والتي تصل لسبعين يومًا إلا أن تجار القسط يقطعوها في أربعين يومًا على ظهور أعدال القسط وصولًا للمنصورة، كما أمدانا بمعلومات عن تجارة القسط ومنافعها ، وهي عبارة عن عود يُجاء به من الهند يُجعل في البخور والدواء، وهو ما يعرف بالصندل. (شهاب ، عجائب الهند) وهذه التجارة لم يذكر ابن بطوطة عنها شيئًا ، وهنا يتضح لنا الدور الذى قامت به أعدال القسُط، وكأنها مراكب تنقل البضائع من مكان لآخر.

وكان ممن زار بلاد السند المقدسي[٦٣]، وأهم ما تحدث عنه فيها خيراتها الواسعة، كالذهب والتجارة والعقاقير والفانيذة[٦٤] والأرز.....، وغيرها، كما تحدث عن العدل والإنصاف الموجود هناك، كما أشار إلى فوائده الجمة وبضاعاته وتجاراته وصناعاته، وقال: إنه يجاور البحر ويشقه النهر، وأهله مشركون، والعلماء به قليلون، وهو يختلف مع نفسه، ومع ابن بطوطة؛ لأنه

سوف يكمل حديثة بأنه قابل العلماء فيما بعد، وقال: إنه تحدث معهم، كما أن ابن بطوطة قال عنها: إنها بلد العلم والعلماء، وأشار أثناء حديثه إلى كثير من العلماء الذين قابلهم، كما قال: إنك لا تصل إلى هذا الإقليم إلا بعد أخطار بالبر وأهوال بالبحر، وفي هذه النقطة يتفق مع ابن بطوطة، كما خصص بعض المدن بإقليم السند بالذكر، وعلى رأسها مدينة المنصورة؛ لأنها قصبة بلاد السند، كما ذكر مدينة الديبل والنيرون وسدوسان، وتكلم عن المنصورة بالتفصيل وشبهها بدمشق، وتكلم عن آنيتها ومساجدها، وقال: إن أهلها أهل مروءة ولباقة وعلم كثير، وهذا ينفى ما ذكره سابقًا من قلة العلم والعلماء، كما قال: إن التجارة هناك مفيدة، وتحدث عن مناخها قائلًا: هواؤها لين، والشتاء هين، والأمطار كثيرة، ولم ينس ذكر بعض الثروات الحيوانية بها، مثل الجاموس، وشربهم من نهر مهران، وقال عن مناخها: إن الحر عندهم شديد، وهو في ذلك يتفق مع ابن بطوطة، وجامعها يقع وسط الأسواق، ثم انتقل لمدينة ديبل، وقال عنها: إنها مدينة بحرية يحيط بها حوالي مائة قرية أكثرهم كفار، وأهلها كلهم يشتغلون بالتجارة، وكلامهم سندي وعربي، كثيرة الدخل، ثم ينتقل للملتان ويقول: إنها لم تكن مثل المنصورة، ليست بكثيرة الثمار، رخيصة الأسعار، والخبز عندهم ثلاثون منًّا بدرهم، والفانيذة ثلاثة أمنان بدرهم، ليس عندهم زنا ولا شرب خمر، ومن وجدوه يفعل ذلك قتلوه أو حدوه، ولا يكذبون في بيع، ولا يبخسون في كيل، ولا ينقصون في وزن، يحبون الغرباء ،وأكثرهم عرب، والخيرات بها كثيرة، والتجارات حسنة، والنعم ظاهرة، والسلطان عادل، لا ترى في الأسواق امرأة متجملة، ولا أحد يحدثها علانية. وبالرغم من كل ذلك إلا أن أرضها غير خصبة، ودورها ضيقة، وهواؤها

حار، وهم سمر سود، ومجمل قول المقدسي :إن إقليم السند حار، وبه نخيل ونارجيل [٦٥]، كما به أماكن معتدلة الهواء، وبه أنهار عديدة، كما قال: إن أهل الملتان شيعة يهوعلون في الآذان ويثنون في الإقامة، فقهاء على مذهب أبي حنيفة، ليس به مالكية ولا معتزلة ولا حنابلة، وهم على طريقة مستقيمة، ومذاهب محمودة، وصلاح وعفة، قد أراحهم الله من الغلو والعصبية والهرج والفتنة، كما تكلم عن دراهم السند، وقال عنها: القاهريات [٦٦] لكل واحد خمسة، ولهم الطاطرا في الواحد درهمان إلا ثلث، ودراهم الملتان على عمل دراهم الفاطميين، ومن خصائصهم ليمونتهم، وهي ثمرة مثل المشمش حامضة جدًّا، وأخرى مثل الخوخ، وتسمى الأنبج – المانجو– لذيذ، كما يوجد البخاتى–الإبل –، وهو أعظم من البُخت له سنامان، مليح لا يملكه إلا الملوك، كما تحدث عن نهر مهران؛ فقال: يشبه النيل في الزيادة والحلاوة وكثرة التماسيح الموجودة فيه،وتشعبه أيضًا، ويلتقى عند الديبل مع البحر، وعليه مزارع، والأصنام بهذا الإقليم صنمان بهبروا، واذا وضع الرجل يده عليه تلتصق، وهو من الذهب والفضة. كما أن هناك عين ماء من الجليد، وخضراء كأنها زنجار تبرى الجراحات، والحصن الثاني يسمى فرج (ثغر) بالملتان، وهو بيت الذهب، كما تحدث عن رياضهم الكثيرة ولهم المزارع الواسعة والمواشي الكثيرة، وعلى شواطئ مهران بواد وعرب كثير، وقال عن المنصورة [٦٧]: عليها سلطان من قريش يخطبون للخليفة العباسي، والملتان يخطبون للفاطمي، ولا يفعلون شيئًا إلا بأمره، ويتبادلون الهدايا، كما تحدث عن الطرق والمسافات، وقال: إن المسافة بين المنصورة وملتان عشرون مرحلة، والطريق بينهما مليء بالقرى والعمارات والصحراء قليلة. (المقدسى ، ١٩٠٦).

لقد حققت رحلة ابن بطوطة غرضها بهذه الأماكن :-

- يكفينا المادة العلمية التي تركها لنا عن مدن هذه المنطقة؛ فهو يعتبر الرحالة الوحيد الذى زار مدن السند ومكث بها، فلم تكن زيارته لها عابرة، وقد تحدث عنها بهذا التفصيل؛ فبذلك يعتبر المصدر الأول الذى يمتلئ بمعلومات عن المنطقة.
- لقد استطاع ابن بطوطة تحقيق غرضه الأساسي من الرحلة منذ خروجه من مسقط رأسه، وهو الغرض الديني ورغبته القوية في الحج، وقد فعل ذلك، وبمرور الوقت دُمجت هذه الرغبة الدينية برغبات أخرى، وهي التجول والترحال والعلم ومصاحبة العلماء والشيوخ، والحرص على مقابلتهم.
- الرحلة هامة؛ حيث إنها مصدر مهم وتفصيلي عن مدن المنطقة؛ فإنها مصدر جغرافي وتاريخي واجتماعي هام، فكلها عبارة عن مشاهدات حية، وتصورات مباشرة من ابن بطوطة، وقد استطاع زيارة أماكن ومناطق لم يزرها رحالة مسلم من قبله، مثل مدينة سيوستان.
- لقد استطاع ابن بطوطة إعطاءنا صورة واضحة وشاملة عن المنطقة، وأهم عادات وتقاليد سكانها بعد فتحها بفترة كبيرة قد تصل هذه الفترة التي بين الفتح ورحلة ابن بطوطة حوالي ستة قرون.
- كان المنهج المتبع في كتابة هذا الموضوع هو المنهج التاريخي والتحليلي والاستقرائي، والذي يغلب عليه منهجية توثيقية، الذي يقوم على تلخيصٍ لحياة الرحالة، وأسماء الأماكن التي مر بها أثناء رحلته،

وزمن الرحلة، ومسارها، وتزيين الصورة بتحليل نصوص الرحالة وتفكيك خطابه، ولذلك كان الدور الأكبر للمنهج الاستقرائي والتحليلي.

- قام ابن بطوطة بالتخطيط جيدًا لرحلته؛ فلم تكن رحلاته هذه خاضعة للمصادفة، فأعتقد أنه كان يخرج وينشر أمام الجميع وخاصة أصحابه أنه بغرض الحج فقط، ولم يصرح لهم بما في قرارة نفسه؛ لصعوبة الأمر، وعدم تقبله، وسوف يتهمونه بالجنون، ولذلك أخفى غرضه الذى يكنه بداخله، وهو اكتشاف المجهول، والطواف في البلاد، ومعاينة الدور والعباد، وعادات وتقاليد شعوبها، وتلكم كانت أهم الاشياء التي ركز عليها في رحلته.
- يختلف ابن بطوطة عن كثير من الرحالة؛ حيث إنه لم يضع بداية ونهاية لرحلته بل اكتفى بوضع البداية لها، ولم يحدد لها أي نهاية؛ لأن طموحاته كانت عالية وواسعة.
- نالت رحلة ابن بطوطة في بلاد السند نصيبًا كبيرًا من اسم كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار؛ فهي اسم على مسمى، فهي فعلا تحفة، وتعني الشيء الثمين النادر الذي بقي خالدًا ودامت ذكراه على مر العصور والأزمان.
- تعرض ابن بطوطة للكثير من المصاعب والمتاعب التي كانت ممن الممكن أن تصبح عائقًا كبيرًا في رحلته، لكنه تغلب عليها واستمر في رحلته، ومثلما واجه الصعاب وجد الدعم والمساعدة خاصة من الحكام والشيوخ والأمراء.

- لقد حرص بنو مرين على أن تكون الوحدة الإسلامية مع المشرق متينة عن طريق الرحالة أمثال ابن بطوطة، وابن رشد السبتي، والبلوي، وغيرهم، كما احتضنوا كبار المؤرخين والأدباء والعلماء، أمثال ابن الخطيب، وابن خلدون، والمراكشي.
- هناك دلائل وحقائق تؤكد صحة ما جاء به ابن بطوطة، وهي أنه عندما دخل المسلمون بلاد السند بقيادة ابن القاسم الثقفي قامت زوجة داهر بإحراق نفسها، وعندما زار ابن بطوطة بلاد السند والهند تحدث عن هذه الظاهرة، وقال: إن النساء يحرقن أنفسهن حزنا على أزواجهن، وهذا ما فعلته زوجة داهر حاكم المنطقة.
- ومما يؤكد صحة ما جاء به ابن بطوطة حرارة الشمس التي تحدث عنها أثناء حصار أبي القاسم الدبيل وكاد أن ينسحب، وما قاله أيضًا في وصف حالة الطقس، وشدة حرارة الشمس هناك.
- يلاحظ على ابن بطوطة ذكره مواضع ومدنًا كثيرة لم يتداول الحديث عنها، وقد تكون مبهمة، ولم يسلط عليها التاريخ الضوءَ وقد تكون غير هامة لنا، لكن اتضح لنا بعد دراستها مدى قيمتها وأهميتها.
- لم يكن وصف ابن بطوطة لبلاد السند في رحلته مملًّا بقدر ما كان مفيدًا؛ فقد وضع بين عينيه مجموعة ركائز سار عليها، ولم يحدث أنه انحرف عن غرضه.

- تكاد تكون هذه الرحلة خالية من الخيالات والخرافات والأساطير؛ فهي أقرب إلى الحقيقة، كما أن أسلوب ومنهجية ابن بطوطة بسيطة ومفهومة وخالية من التكرار.
- معظم الرحالة الذين زاروا بلاد السند كانوا في القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي، وكل هذه الرحلات كانت من بلاد قريبة، ويقصد بها فارس والعراق وفلسطين، لكن ابن بطوطة كان في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، وكان من أقصى البلاد وذكر ما لم يذكره غيره.
- لقد كان لهذه الرحلة دور كبير في التعرف على مدن جديدة ومعرفة عادات وتقاليد أهل هذه البلاد

الهوامش

١) هي مدينة جنانى، ثم سيوستان، ثم لاهرى، ثم بكار، ثم أوجة، ثم ملتان، بالترتيب. وينقسم إقليم السند إلى خمسة أقاليم، وهي: سيوستان، والتي قال عنها ابن حوقل: سدوستان، وكلها بغربي نهر مهران، والملتان، واسكندرة، وأرور (العاصمة قبل الإسلام) وبرهمن آباد، وهى المنصورة في العصر الإسلامي، وحيد آباد الآن، والدبل .

أبو القاسم ابن حوقل، المسالك والممالك، طبعة ليدن، بريل، ١٨٧٣، ص٢٣٠؛ فيصل سيد طه، مراكز التجارة في بلاد السند من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، الحولية ٣٨، العدد٤٨٥، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، ٢٠١٧، ص٢١.

٢) سيوستان(sehwan): بالكسر، ثم السكون، وفتح الواو، وسكون السين الثانية، وتاء مثناة من فوق، وآخره نون، وهي مدينة تقع على بعد ١٢ ميلا شمال كراتشي، على بضع مسافة من نهر الهندوس (السند) وهي كورة من السند، عظيمة كبيرة، على نهر السند. فهي تقع إلى الغرب وتحديدًا الشمال الغربي من نهر السند، وتشمل حاليًا مقاطعة لاركنه وشكربور وكجى وناصراباد وسكر . وهى من المدن المحصنة التي تقع على قمة جبل يقع بالغرب من مهران، وقد اعتنق سكان هذه المدينة الإسلام وأقاموا المساجد في أماكن سكناهم، وبنيت المنابر؛ لإلقاء الخطب وإقامة الأذان والصلاة في مواقتيها، وتم إزالة آثار الأوثان والأصنام.

عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، ج٢، ص٧٦٩؛ على بن حامد ابن أبى بكر الكوفي (ت٦١٣هـ)، فتح السند (ججنامة)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، ص٢٣٩٠؛ أحمد الجوارنة، مراسلات الحجاج بن يوسف الثقفي ومحمد بن القاسم الثقفي كما وردت في المصدر التاريخي، فتح

السند أوجنامة دراسة تحليلية، أبحاث اليرموك سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، منشورات جامعة اليرموك، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، ١٩٩٧، ص١٩٦.

٣) حاكم المدينة اسمه بجهر بن جندر بن عم داهر بن جج.

علي بن حامد بن بكر الكومي، فتح السند، ص٢٣٩١-٢٣٩٢.

٤) تعتبر مدينة سيوستان بمثابة مفتاح لبقية مدن وادى السند، خاصة أن استسلامها جاء على وجه سلمي، وباختيار من أهلها؛ حيث ذهب وفد من المدينة وأخبروا قائد المسلمين بأنهم لا يُكِنُّون أي ولاء لذلك الحاكم الهندوسي الذي يُدعَى بجهرا بن جندرا بن جش ابن أخي الملك داهر، كما قام رهبان المدينة بإرسال رسالة إلى محمد القاسم، وقالوا له: جميع المواطنين الفلاحين وأصحاب الحرف والتجار والطبقات الدنيا لا يدينون بولائهم لبجهرا، كما أنه لم يكن يملك أية قوة تقف معارضة للمسلمين، وقالوا أيضًا لملكهم: إن محمد القاسم لديه من الحجاج بأن يحمى كل إنسان يطلب منه الحماية، كما أن العرب أوفياء، ويلتزمون بعهودهم .

الكومي، فتح السند، ص٢٣٩١-٢٣٩٢؛ أحمد الجوارنة، مراسلات الحجاج بن يوسف الثقفي ومحمد بن القاسم الثقفي، ص١٩٩؛ سعد محمد الغامدي، الفتح الإسلامي لبلاد السند، حوليات كلية الآداب، الحولية التاسعة، جامعة الملك سعود، ١٩٨٨م، ص٣٧؛ فيصل سيد طه، مراكز التجارة في بلاد السند من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، الحولية ٣٨، العدد٤٨٥، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، ٢٠١٧، ص٦١.

٥) المالديف: جزر تقع في المحيط الهندي جنوب غرب الهند، وتتكون من ألفى جزيرة.

العبيكان، الأطلس الجغرافي للمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، العبيكان، الرياض، ص٧٥.

٦) تنطق دلهي ودهلي حسب اللغات واللهجات الهندية، وهي قاعدة بلاد الهند، وهي من أعظم مدن الإسلام بالشرق. عائشة سلمان السايس، الهند معالمها آثارها الحضارية منذ القرن الرابع عشر وحتى القرن الواحد والعشرين، مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٥، ص٣٧.

٧) بنو مرين: من قبائل زناتة، وهم من ولد مرين بن مجزر بن ماخوخ بن وجديج بن فاتن بن قيس بن عيلان، وأصلهم عربي .

علي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط، ١٩٧٢، ص١٥-١٦.

٨) أمير مكة، وكان شريكًا لأخيه حميضة في الحكم، وفي أثناء هذه السنة ورد إلى الأبواب الشريفة رميثة بن أبي نمي من مكة، وهو أخو حميضة الأكبر، مستنجدًا على أخيه حميضة صاحب مكة حينئذ؛ فجهز السلطان مع رميثة عسكرًا من العساكر المصرية، وجهزهم بما يحتاجون إليه، فسار بهم رميثة إلى مكة، وكان مقدم العسكر تمرخان بن قرمان أمير طبلخاناه، وأمير آخر يقال له: طيدمر، وكان العسكر مائتين فارس من نقاوة عسكر مصر، فجمع حميضة ما يقارب اثني عشر ألف مقاتل، وتعبى العسكر المصري، وكان رميثة في القلب، وابن قرمان ميمنة، وطيدمر ميسرة، والتقوا واقتتلوا في عيد الفطر من هذه السنة وراء مكة إلى جهة اليمن بمراحل، ورمى العسكر بالنشا؛ فولَّى جماعة حميضة منهزمين لا يلوون، وكان لحميضة حصن إلى جهة اليمن، فهرب إليه وانحصر به، فأحاط به العسكر وحاصروه، فنزل حميضة برقبته مع ثلاثة أو أربعة أنفس، وهرب خفية، واحتاط العسكر على ماله وحريمه، وغنموا من ذلك شيئًا كثيرًا، قيل: إنه حصل للفارس من عسكر مصر ما يقارب عشرة آلاف درهم، وكان في الغنيمة من العنبر الخام وأمثاله ما يفوق الحصر، فأطلق السلطان ذلك جميعه للعسكر، واستقر رميثة صاحب مكة.

لمزيد من التفاصيل انظر: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفارسي المكي (ت٨٣٢هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر محمد عطا، الجزء الرابع، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٠٠؛ شهاب

الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الثاني والثلاثون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢١٩.

٩) أبو السعيد هو: ابن السلطان محمد، المشهور بخربندة، ملك العراق وأذربيجان، عندما توفى ترك ابنه السعيد، وكان يملك من العمر اثنتى عشر سنة؛ فرفض الوزراء تعينه سلطانًا عليهم، وخاصة وزيره الأمير جوبان، وبالرغم من هذا الرفض إلا أنه تم اعتلاء السعيد الحكم؛ لأنه لا يوجد غيره من ذرية الجنكيز خانية، وقام أبو السعيد باختيار جوبان مدبرًا لأمور دولته، حتى استبد بكل أمور الدولة.

م.م. الرمزي، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، الجزء الأول، تعليق : إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ص٥٠٦.

١٠) قوم الزُط والميد: هم السكان الأصليون لبلاد السند، وهم فرقٌ كثيرة يحملون أسماء قبائل عديدة، وكانوا يعملون بالسفن والقرصنة بالبحر، والرعي، وقطع الطرق البرية؛ فقد كانوا خطرًا على الأمن والدولة والحكومة السندية القديمة والحكومة العربية هناك، وكانت تفشل كثيرًا في إخضاعهم، وكان السر في استيطانهم الأهوار (البطائح) والمستنقعات والآجام أنها أرض غير مزروعة، تتكاثف فيها الأشجار، والأماكن التي يصعب الدخول فيها، وبالتالي تصعب عملية القضاء عليهم.

والزط: تعريب للكلمة الفارسية جت، وقد هاجروا إلى بلاد فارس، ويحتوي وادي السند على ثلاثة أقسام: البنجاب في الشمال، والسند في الجنوب، وراجبوتانا في الشرق، ويسكن هذه الأقاليم قبائل مختلفة، ويعتبر الزط من أهم شعوب البنجاب ووادي السند. والميد: قوم رُحَّل كانوا يسكنون أطراف صحراء كتش (كجه)، وأحيانًا كثيرة كانوا يصلون ترحالهم إلى قرب مدينة الرور على شط نهر مهران وحدود مكران، وهناك من يقول: إن قوم الميد كانوا يسكنون من حد الملتان حتى البحر. وقد اعتبروا الزط حراس الطريق.
أبو القاسم عبيد الله ابن خردذابة، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، ص٥٩؛ سامى بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس تاريخ الدولة العباسية، العبيكان للنشر، ٢٠١٢، ص١٠٩-١١٠.

[١١]) لقد قمت بإدخال بعض البيانات على الخريطة . ابن بطوطة ،تحفة النظار ،تحقيق طلال حرب ،ص٤١٢.

١٢) فبنج معناها: خمسة، وآب معناها: الماء، ولذلك تعني الأودية الخمسة، وهي المنطقة التي تجري وتتجمع فيه الأنهار الخمسة لبلاد السند، وهي تصب في النهر الأعظم، وتسقى منها جميع النواحي، وهو –فينج– من أعظم أودية الدنيا، فيفيض في الحر، فيزرع أهل تلك البلاد على فيضه.

ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب حواشيه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص٤٠٧–٤١١.

١٣) السلطان محمد بن تغلق الذي تولى الحكم سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، وآل تغلق خلفوا الخلجيين، وقد حكم إلى سنة ٧٥٢هـ،١٣٥١م. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، تحقيق: طلال حرب، ص٤١١.

١٤) الملتان: مدينة مثل المنصورة في الكبر، وتسمى فرج بيت الذهب، وبها صنم تعظمه الهند، وتحج إليه من أقاصى بلدانها، ويتقربون إلى هذا الصنم بمال عظيم. أما الملك قطب الملك فهو من كبار الأمراء وفضلائهم وأمير مدينة ملتان، ولما دخلتُ عليه قام إليّ وصافحني، وأجلسني إلى جانبه، وأهديت له مملوكا وفرسا وشيئا من الزّبيب واللوز، وهو من أعظم ما يهدى إليهم؛ لأنه ليس ببلادهم، وإنما يجلب من خراسان.

ابن حوقل، المسالك والممالك، ص٢٢٩؛ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة، تحقيق: عبد الهادي التازي، الجزء الثالث، أكاديمية المملكة المغربي، ص٨٨.

١٥) الولاق : لفظ تركي يستعمل حتى اليوم، والبريد كلمة عربية من أصل لاتيني (veredus)على ما يلاحظه البروفيسور گيب، ومعلوم أن البريد كان من مهام الدولة، وليس للخواص حق مباشرته، هذا ويلاحظ أنه على نحو ما قرأناه عن الهند، فإن البريد بالمغرب تميز طوال التاريخ بنظام محكم، وكان فيه البريد العادي والبريد السريع. فكلمة

البريد عربية الأصل وهى مشتقة من البردة أي العباءة فقد كان الرسل الذين يحملون الرسائل من بلد إلى آخر يلبس كل منهم بردة حمراء اللون للدلالة عليه ،ويقول البعض أن كلمة بريد ترجع إلى أصل فارسي، وهى مشتقة من كلمة بوريده دم ومعناها مقطوع الذنب إذ كانت الدواب التي تحمل الرسائل يقطع =ذنبها لتعرف عن بقية الدواب . ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٧٢، حاشية ٣؛ إبراهيم مرزوق، تاريخ طوابع البريد البداية والهواية، الدار الثقافية للنشر ،٢٠٠٤، ص٥.

[١٦]) بفتح الراء، وهو نوع من البريد الهندي، يعتمد على الرجال . إبراهيم مرزوق، تاريخ طوابع البريد البداية والنهاية، دار الثقافة للنشر، ٢٠٠٤، ص٩؛ حسين شيرازى، قصة البريد، الصحافة العربية، ٢٠١٧، فصل البريد عند العالم القديم، والبريد عند الهنود.

[١٧]) المِيل: مقدار مد البصر عند العرب من الأرض، والجمع منه أميال وميول، وقيل: إنه مسافة من الأرض لا حد لها. أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، ١٩٨٧، ص٢٢٥-٢٢٦؛ برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني (ت٥٩٣هـ)، الهداية شرح بداية المبتدى، ضبطه: علي عثمان جرادى الحنفي، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١١٢.

١٨) الدّاوة: الكلمة من أصل فارسي (daw): الركض والجري. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٧٢، حاشية ٤.

١٩) الكروه: الكلمة من الأوردو (kuroh) ، يعني ثلث الفرسخ، وإن المعادلة بين هذه المقاييس وبين الميل والكيلومتر تبقى تقريبية. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٧٢، حاشية ٥.

[٢٠]) انطلق يجرى بأقصى سرعة أيامه. السعيد بدوى، الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجزء الثالث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص٥٠-٥٣.

٢١) نهر مقدس، ويسمى باللغة السنسكرتية (اللغة الهندية القديمة) كنك، وذكره الغرب باسم Ganges . وأما العرب فذكروه باسم كنكس، ويصدر من كهف ثلجي في وادي ألاك

نذدا بقاع جبل همالايا، وهو اسم مركب من (هما) بمعنى الجليد، و(لايا) بمعنى بيت، أي بيت الجليد، ويصب في خليج البنغال. ولهذا النهر مقام ديني عند الهنود. وقد وجد على نهر الكنج سبع قلاع، فيها عشرة آلاف معبد للأصنام.

حازم محفوظ، ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، ص٢٧؛ نادية عويس حسانين، التاريخ العسكري في بلاد ما وراء النهر وأفغانستان، ٢٠١٩، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ص١٦١.

[٢٢]) أي كتبوا في الخطاب جميع التفاصيل.

السعيد بدوى، الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجزء الثالث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص٥٠-٥٣.

[٢٣]) كانت مهمة البريد في بلاد المغرب توصيل الرسائل والمكاتبات الصادرة عن الولايات أو الواردة إليها، والخاصة بتعين أو عزل الولاة وتلقي أوامر الخليفة، وسجلات تعين القضاة والتعرف على أخبار الولاة في حكم =ولاياتهم؛ لذلك كان يختار من ذوي الكفاية والدراية حتى جاء عصر الموحدين، وكان صاحب البريد في المغرب يكلف بحمل جميع أنواع الرسائل المدنية والعسكرية، وكان يطلق عليه الرقاص، ونُظم البريد بشكل متقن في البر والبحر والليل والنهار، وكانت وظيفة حمل الرسائل تنسب إلى رجال أقوياء، وكان هناك ساعي البريد المستعجل الذى ينقل البريد على الخيل بمنتهى السرعة، وكان بكل محطة حصان، وحددت نقاط البريد والمنازل التي ينزلونها وزمن الرحلة، وكان البريد يقطع المسافة من المهدية إلى غرناطة في أربعين يومًا.
عبد الحميد حسين حمودة، الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها العالمي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠١٢، ص٧٨-٧٩.

٢٤) عماد الملك سرتيز مملوك السلطان، الذي يعني اسمه الحاد الرأس، وهو أمير أمراء السند، سكن ملتان، وهو الذى تعرض بين يديه عساكر الهند وإليه أمرها.

عبد الله ابراهيم، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧، ص٥٣٣.

٢٥) فمن عادة ملوك الهند والسند إكرام الغرباء ومحبتهم، وتخصيص الولايات والرواتب لهم ومن معهم، ولذلك صدر أمر السلطان أبي المجاهد محمد شاه ملك الهند بتخصيص بلدة

الأعزة للغرباء؛ فصارت لهم، وكان على كل قادم على السلطان أن يعطيه هدية، ويقبلها السلطان، ويكافئه بأضعاف هذه الهدية.

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة، تحقيق: طلال حرب، الجزء الثاني، ص٤٠٠-٤١٤.

[٢٦]) وهو من من أهل تكريت، ويعرف بمحمد الدوري. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: طلال حرب، ص٤١٤.

٢٧) يختلف الكركدن عن سائر الثدييات ذات القرون بقرنه الذى لا يحمله على قمة رأسه، بل يحمله على أنفه، وهو يتكون من شعيرات كثيفة، ويتمتع بحاسة شم وسمع جيدة، إلا أنه قصير النظر، والإنسان هو العدو الأكبر للكركدن. مكتب البحوث في دار الفكر، الموسوعة العلمية الشاملة عالم الحيوان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، دار الفكر للطباعة، لبنان، ص٢٥٧.

٢٨) هؤلاء القوم ربما هم راميون سماس الذين سيطروا على قسم كبير من بلاد السند في ذلك العهد. ويكاد يتعلّق الأمر بسومرا : (sumra) قبيلة راجبوت rajput ، التي يظهر أنها بسطت نفوذها في بلاد السّند بعد انهزام السلطان مسعود بن السلطان محمود صاحب غزنة أمام السلجوقيين عام ١٠٤٠ م/٤٣١ هـ، وهم هندوس اعتنقوا الإسلام في آخر المطاف. وذكر المقريزي في خططه أنهم قوموا قدموا من بلاد المشرق وسكنوا بلاد الشام وتهودوا، ويقال عنهم: إنهم شعب من شعوب الفرس الذين خرجوا لبلاد الشام ومعهم حاجاتهم، ومنهم السامرة الذين تفرقوا في البلاد بعد وفاة سليمان بن داود، تفرق مُلك بنى اسرائيل بداخل وخارج القدس. وما يهمنا هنا هو الجزء الذى خرج خارج القدس، وكان فيهم الأسباط العشرة واشتروا مكان اسمه شامر، وبنوا فيه قصر سمى قصر شامر، وبمرور الوقت بنى حول هذا القصر مدينة سماها شمرون وهو عمرى بن نوذب ، واتُخذت بعد وفاته مدينة لملك حتى جاء من بعده شاع بن ايلا، وهنا حاصرهم ملك الموصل ثلاث

سنوات واتخذهم أسرى، وتفرقوا في عدة مدن وانقطع خبرهم بعدما حكموا بعد سليمان ١٥١سنة، وهنا نقل ملك الموصل إلى شمرون من أهل كوشا وبابل وحماة وأنزلهم بها ليعمروها، وأرسل إليهم من يعلمهم التوراة، فتعلموها على غير ما يجب، وقرؤوها ناقصة لأربع أحرف، وعُرفوا بين الأمم بالسامرة؛ لسكناهم مدينة شمرون بنابلس، وتعني كلمة السمرة: الحفظة والنواطير، وظلوا هناك إلى أن غزا بُخت نُصر القدس وأجلى اليهود منه لبابل، ثم عادوا =بعد سبعين سنة وعمروا البيت ثانيًا حتى مر ببلادهم الإسكندر الأكبر، واستأذنوه في بناء هيكل شبيها بهيكل القدس؛ لاستمالة اليهود، وقاموا بإنشائه على موضع يعرف بطوربريك، ويقول عنهم أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني: الأبدال الذين بدلهم بخت القدس. أحمد بن على عبد القادر بن محمد المقريزي، الخطط المقريزية، الجزء الرابع، مكتبة الآداب، القاهرة، ص٣٧٠-٣٧١؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، مراجعة: درويش الجويدى، ص١١؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٧٧، حاشية ٨.

٢٩) كانت حدود ومساحة أراضي السند أثناء الفتوحات الإسلامية تختلف عن حدودها اليوم؛ فأراضي السند أيام الفتوحات الاسلامية تشتمل على ثلاث مقاطعات هي: السند، والبنجاب، والحدود الشمالية الغربية في الباكستان.

سعد بن محمد بن حذيفة الغامدي، الفتح الإسلامي لبلاد وادي السند ٩٢-٩٦هـ/٧١١-٧١٥م، حوليات كلية الآداب، الجزء التاسع، العدد ٥٣، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي، ١٩٨٨، ص١١.

٣٠) كان وادي السند قبل الفتح الإسلامي تحكمه أسرة بوذية الديانة اسمها أسرة الرائي، وقد أسسها رجل يدعى ديوايج Dewaij، وكان لآخر ملوك هذه الأسرة وزير يدين بالديانة الهندوسية، الذي استطاع بعد وفاة الملك أن يحكم البلاد، وهنا تحول الحكم من البوذيين إلى الهندوس، الذي كان أخر حكامهم داهر بن سلايج، وقد كانوا يعاملون أهل هذه البلاد بتعالي طبقي، بالإضافة إلى اعتدائهم على سفن المسلمين المارة بهذا المكان، وكان ذلك

من أهم الاسباب التي عجلت بتجهيز المسلمين حملة للدخول لفتح وادي السند، وأيضًا بفضل تقديم أهل هذه المنطقة المساعدات لهم؛ لكي يتخلصوا من ظلمهم وطغيانهم، مثل سكان مدينة سِهوان (سيوستان) وسنديمان sindiman –مدينة تقع في ولاية دادوا الحالية–، الذين ثاروا ضد الحكام الهندوس، ووقفوا بجانب المسلمين، وأيضًا سكان مدينة نيرون يرحبون بالقائد الجديد.

البلاذري، فتوح البلدان، ص٦١٥-٦١٦.

٣١) هو الشيخ ركن الدين بن شمس بن الإمام بهاء الدين زكريا القرشي الملتاني، الرسول والسفير الذي بعثه شهاب الدين أبو حفص عمر السّهروردي إلى الهند، مؤسس الطريقة السّهروردية بالهند، ولده صدر الدين وليس شمس الدين، المتوفى عام ٦٨٤ ـ ١٢٨٥، وحفيده ركن الدين المتوفى عام ٧٧٥ ـ ١٣٣٥، كوّنوا جميعهم السلسلة الوارثة للطريقة في ملتان، و قد أهمل ابن بطوطة القول حول ما إذا كان لقى هذا الشيخ في جناني أو في ملتان كما يظهر. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٧٧، حاشية ٩.

٣٢) هذا الشيخ مبتلى بالوسواس؛ فلا يصافح أحدًا، ولا يدنو من أحد، وإذا حدث ولمس ثوبه أحد غسله في الحال، أبلغه ابن بطوطه سلام الشيخ ففرح وتعجب، كما لقى ابن بطوطة ولديه معز الدين وعلم الدين. فؤاد الدين قنديل، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ص٧٠.

٣٣) عماد الدين محمد بن قاسم، ابن عمّ الحجاج، فتح بلاد السند، فقد توجه محمد الثقفي ناحية مدينة سيوستان بعد أن صالحه أهل مدينة النيرون وصالحوه، وصالحه أيضًا أهل مدينة سيوستان من الزط، وأصبحوا ضمن قواته، واصل بهم زحفه وقطع نهر السند (مهران) إلى ضفته الشرقية، وقام محمد بن قاسم الثقفي ببناء أول جسر على نهر السند في العصر الإسلامي.

ابن بطوطة، تحفة النظار، عبد الهادي التازي، ج٣، ص٧٧، حاشية ١٠؛ عماد علو، القوى البحرية والتجارية في الخليج العربي خلال العصور الإسلامية، دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠١٧، ص٢١١.

[٣٤]) أصل السامرة من مدينة نابلس، وهم يختلفون عن اليهود؛ حيث إنهم يعتبرون جبل جرزيم بنابلس هو المقدس، أما اليهود فيعتبرون جبل صهيون بالقدس هو المكان المقدس لهم. وقد هاجروا من فلسطين وانتشروا في مدن وبلاد كثيرة، وهذا الانتشار من العصور القديمة.

=رابح مشحود، مذكرات المجاهد والدبلوماسي الجزائري، الجزء الثالث، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٩، ص٩٤-٩٥؛ عبد الوهاب المسيري، الجماعات اليهودية إشكاليات، المجلد الثاني، ص١٣٨.

٣٥) وهي كورة كبيرة من السند، ومدينة كبيرة أيضًا، لها دخل واسع وبلاد كثيرة وقرى، وهى تحمل مسميات عديدة غير سيوستان، كـ: سيوان وسهوان وسيستان، ويقال: إنها مدينة قديمة سميت على اسم رجل من أمراء السند، وكان يحكمها ملوك الور. القاضي أبو المعالى أطهر المباركبوري، رجال السند والهند إلى القرن السابع، المطبعة الحجازية، ١٩٥٨، ص٣٢.

٣٦) كانت العملة المستعملة من لدن مملكة دلهي تتكون على ذلك العهد بصفة أساسية من عملتين أساسيتين تسميان معا تنكا : tanka ، واحدة ذهبية تزن تسعة گرامات، والثانية فضية تزن ٣ ، ٩ ، الأولى تساوي رسميا عشر مرات قيمة الثانية، وابن بطوطة يسمي الأولى تنكا، والثانية يسميها دينار.

ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٨٢، حاشية١٨.

[٣٧]) (الذي يساوى مائة ألف دينار والذي يحول إلى عشرة آلاف دينار من ذهب الهند) ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٨٢-١٠٠.

٣٨) كان محمد تغلق من الأتراك المعروفين بالقرونة، القاطنين الجبال بين بلاد السند والترك، والقرونة نتيجة زواج أب تركي وأم سندية، دخل بلاد السند؛ لخدمة بعض التجار، كان راعيا للخيل؛ فأثبت نفسه في الفرسان حتى أصبح من الأمراء الصغار، ثم من الأمراء الكبار، وسمي بالغازي.

جلال السعيد الحفناوي، الهند في رحلة ابن بطوطة دراسة حضارية، المجلد ٥٦، العدد ١،٢٠٠٥، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيو دلهي، مجلة ثقافة الهند، ص٢٣.

٣٩) الأعزة جمع عزيز، ويعتبر هذا اللفظ من الكلمات الحضارية التي ينبغي أن نقف عندها ونحن نقرأ عن بلاد السند؛ فقد ظل الغريب محل توصية من لدن سائر الذين كتبوا عن معاملة الناس حتى ولو كانوا غير مسلمين ... ونحن نعلم أن ابن السبيل من الأصناف التي تصرف لها الزكاة ... والطريف الجميل تشجيع الغرباء على استثمار أموالهم، بل إنّ السلطان يمكنهم مما يساعدهم على نفاق تجارتهم وربحهم ... ومن هنا أخذ التجار في السند والهند يقرضون لكل قادم آلاف الدنانير.

ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٨٢، حاشية١٦.

٤٠) هي الطلح، والطلح: شجرة حجازية، جناتها كجناة السمرة، لها شوك أحجن (أعوج)، ومنابتها بطون الأودية، وهي أعظم العِضاة شوكًا، وأصلبها عودًا، وأجودها صمغًا، كما أنها شجرة طويلة يستظل بها الناس والإبل، وورقها قليل، ولها أغصان طوال عظام، ولها شوك كثير، ولها ساق عظيمة، تأكل الإبل منها أكلًا كثيرًا، كما أنها تنبت في الجبل. ولذلك فهي مدينة محصنة مرتفعة.

كوكب دياب، المعجم المفصل في الأشجار والنباتات في لسان العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٥٦؛ شوقي أبو خليل، فتح الديبل بقيادة محمد بن القاسم الثقفي، ص٦١.

[٤١]) نبات أعجمي، وقيل: هو الفول، المهم أنه من الحبوب. ومنها صنف لا يؤكل إلا مطبوخًا، ويسمى البسلة، ومنه من له ورق أكبر ويميل إلى البياض. ضياء الدين أبو محمد الأندلسي ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، الجزء الأول، منشورات

محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٢٦؛ كوكب دياب، المعجم المفصل في الأشجار والنباتات في لسان العرب، ص٨٩.

٤٢) كلمة فارسية الأصل (mushang) ، معناها: نوع من الحبوب ـ القصد بالذّرة ليس إلى الأمريكية ولكن إلى الذّرة التي تنعت في المغرب بالبيضاء ، وهناك ذرة دكناء هي : أنلي. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٧٨، حاشية ١٢.

[٤٣]) السقنقور scincus حيوان من فصيلة الزواحف، وهو جنس حيوانات من الغطاء، القصيرات الألسنة أنواعه ثمانية، مهدها ضفاف النيل والصحارى الآسيوية والإفريقية، جميعها أكبر من السحالي وأضخم، قوائمها خماسية الأصابع، أذنابها قصيرة، ظهورها مدببة بصفرة وسواد، بطونها تشبه البياض الأغبر، وكان ولا يزال يستعمل بعد تجفيفه بالملح، وهو شائع الاستعمال في مصر والسودان . عادل محمد الحجاج، موسوعة أعلام العرب في علم الحيوان والنبات، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ص٦٨.

٤٤) بحاء مهملة مضمومة وباء موحدة مفتوحة مخففة، وهي دابة على قدر الكف تشبه الضب حاليًا، وهي من أنثى الحرابى، ومنهم من يقول: إنها مثل الضفدعة، وقيل: إن لها بطن كبيرة . كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج١، ٢٠١٨ م، ص٣٩٧.

[٤٥]) باللغة الفارسية (zard tchuba) ـ أم جبّين : صنّفت على أنها الوزغ (lezard) ، أو ذكر الحرباء (chameleon) ، وحنيشة الجنة : تطلق فعلًا على الوزغ الذي يعلق بالجدران. وقد قيل عن السقنقور إنه ضرب الزحافات يشبه الجردون.

ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٧٨، حاشية ١٣.

٤٦) القيظ: الحر، وهو صميم الصيف. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٧٨.

٤٧) المعروف بالشيباني. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٧٨.

٤٨) ابن بطوطة، تحفة النظار، الجزء الأول، ص٥؛ مأمون فريز جرار، معجم ابن بطوطة في رحلته، باب الزاي، دار المأمون للنشر، ص٥٨.

٤٩) لاهري (lahari) هذه المدينة المعروفة تحت اسم لارّبندر larrybunder توجد على بعد ٢٨ ميلا جنوب شرقي كراتشي، حيث يصب نهر السند في بحر العرب، وبمرور الأيام عوضتها (أي لاهري) حوالي سنة ١٨٠٠ شهبندر، ثم كراتشي أقصى الجنوب عند مصب نهر السند في بحر العرب، ولم تلبث أن تحولت إلى أقصى الشمال تحت اسم اسلام أباد

غرب المنطقة المتنازع عليها مع الهند. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٨٥، حاشية ٢١.

[٥٠]) الأهورة: سفينة سلطانية تسير في النهر، ومن حولها أربعة مراكب فيها طبول الأمير وأبواقه وندماؤه ومطربوه. الطرائد: (جمع طريدة)، وهي سفن كانت مخصصة لحمل الخيل، وتتسع الطريدة الواحدة لحمل أربعين فرسًا، وكانت تفتح عادة من الخلف؛ حتى يتيسر للخيل أن تصعد إلى ظهرها أو تنزل منها إلى اليابسة، كذلك كانت تستخدم لحمل المقاتلة والمؤن والسلاح، كما كانت تستخدم لانتقال الناس. ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: طلال حرب، ص٤٢٠؛ السيد عبد العزيز سالم، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٦، ص١١٠.

[٥١]) وهي العلامات والطبول والأبواق والأنفار والصرنايات، وهي الغيطات. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٨٠-١٠٠.

[٥٢]) هي لاهري بوندر على الضفة الشرقية من قناة راهو على نحو ٣٥ كم جنوب شرق كراتشي. ابن بطوطة، تحفة النظار، طلال حرب، ص٤١٨.

[٥٣]) (bhakhar) جزيرة محصنة على نهر السند تقع بين مدينة سكور sukkur، ومدينة روهري rohri على بعد ١١٠ ميلًا، من سيوستان (sehwan) سالفة الذكر. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٨٧، حاشية ٢٣.

٥٤) لقد كان لدوشى خان زوج عمة جنكيز خان خانان مجاوران له، أحدهما يسمى كشلوخان، والآخر فلان خان. لمزيد من التفاصيل انظر عماد الدين أبو الفداء اسماعيل (ت٧٣٢)، المختصر في أخبار البشر، الجزء الثاني، تعليق: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢١٧.

٥٥) قاضي القضاة شيخ الحنفية صدر الدين سليمان بن أبي العز الحنفي اللأذرعى . عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي(ت٩٧٨)، الدارس في تاريخ المدارس، الجزء الأول، إعداد: ابراهيم شمس الدين، ص٣٦٣.

٥٦) الشيخ الجليل الأمين المعمر شمس الدين، أبو نصر محمد بن القاضي الرئيس، عماد الدين، قاضي القضاة، الفارسي، الشيرازى الأصل، الدمشقي، له شعر كثير بالعربي وبالعجمي، ولولا إقباله على الحديث لما عُد إلا من الحكماء. أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي (ت٧٤٨)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الجزء الخامس عشر، دار الكتب العلمية، ص٥٨٠.

٥٧) أوجه (uch) على طريق ملتان جنوبها وفي غرب ولاية بها ولبور (bahawalpur)كانت على ذلك العهد مركزا إسلاميا هاما تحتضن فيمن تحتضنه الشيخ جلال الدّين البخاري (١٢٩٩ ـ ١٢٩١)، وهو من عيون السّهروردي،ة وتعني المدينة المرتفعة.

القاضي أبو المعالى أطهر المباركبورى، رجال السند والهند إلى القرن السابع، المطبعة الحجازية، ١٩٥٨، ص٢٣؛ ابن بطوطة، تحفة النظار، ج ٣، تحقيق: عبد الهادي التازي، ص٨٧، حاشية ٢٤.

٥٨) لم نقف على ترجمة حيدر العلوي، كما لا نعرف إلى أي طريقة صوفية ينتسب، وإن كنا نعرف أن مدينة (أوجه) كانت مركزا للسّهروردية، والنسبة إلى الإمام على (كرم الله وجهه) لا تعني بالضرورة إنه منحدر من فاطمة الزهراء بنت الرسول (عليه الصلوات)؛ فقد كان للإمام عليّ زوجات أخر. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٨٧، حاشية ٢٥.

٥٩) ملتان (multan) اعتنقت منذ الفتوحات الأولى دين الإسلام عام ٩٤ هـ ـ ٧١٣ م، وقد أصبحت أحد المراكز الإسلامية في السند، وكانت عاصمة للسند أيام ابن بطوطة، وتقع ضمن البنجاب. ابن بطوطة، تحفة النظار، تحقيق: عبد الهادي التازي، ج٣، ص٨٧، حاشية ٢٧.

٦٠) واسمه دهقان، وهو سمرقندي الأصل.

٦١) وهو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز.

٦٢) القُسُط هو العود الذى يكون بداخل البخور، كما يوجد بالسند أشياء أخرى تتميز بها، مثل القنا: جنس زهر من فصيلة القنويّات، ومن وحيدات الفَلْقة ساقه قويَّة ، أوراقه كبيرة، بيضويَّة الشكل، وأزهاره مُختلفة اللون، يُستخرج منه صِبْغ أحمر، يُزرع في الحدائق للتزْيين، والخيزران نبات من الفصيلة النجيليَّة، لَيِّن القضبان، أملس العيدَان، استخدمت أعواده في صناعة مواد الكتابة في الشرق الأقصى. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٦٣.

٦٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المَقْدِسِيّ، المعروف باسم محمد بن أحمد شمس الدين المقدسي أو المقدسي، رحالة مسلم، ولد في القدس سنة ٣٣٦هـ في القرن الرابع الهجري.

٦٤) الفانيذ: هو عسل السكر المسمى بالمرسل، وهو نادر . أبو العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي (ت٩٧٤)، تحفة المحتاج بشرح المنهاج، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٠٤.

٦٥) جنس من النخيل يقال له: قوقوس. محمد بن أحمد الإسكندراني الدمشقي (ت١٢٩٩هـ)، كشف الأسرار النورانية القرآنية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٩٩.

٦٦) لقد كان من أهم العملات الهندية دراهم المنصورة فضة ونحاس، كما تعاملوا بالدراهم الطاطرية الهندية، ووزنها مثقال، وعليها صورة الملك، كما تعاملوا بالدنانير والدراهم التي سميت القاهريات، فضلا عن التعامل بالقطع الذهبية ونقد الودع التي استخرج من الصدف في السواحل الهندية، ومن ثم أصبح للهند أربع دراهم الدرهم الهشتكانى، والدرهم السلطانى ،وهو أقل وزنا من سابقه، والدرهم الششتكانى، وهو نصف درهم هشتكانى، كما كان تقديره بالدرهم السلطانى ثلاثة دراهم؛ الدرهم الدرارزهكانى، وهو بمقدار الششتكانى؛

إذ كل ثمانية دراهم هشتكانية تسمى تنكة، وهي إحدى العملات المستعملة في التعاملات التجارب. سفيان ياسين إبراهيم، الهند في المصادر البلدانية، ص١٥٨.

[٦٧]) مدينة بالسند واقعة في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة، واسمها القديم يمنه، وسميت المنصورة بسبب قول المسلمين بعد فتحها: نصرنا، ومنهم من يقول: لأنها بُنيت في عهد أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء الدولة العباسية، ويحيط بها خليج من نهر مهران، وتشبه الجزيرة، وتشمل مدينة الديبل. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٦٣.

قائمة المصادر والمراجع

(ابن حوقل) أبو القاسم، المسالك والممالك، طبعة ليدن، بريل، ١٨٧٣.

(ابن بطوطة) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماة رحلة ابن بطوطة، تحقيق: عبد الهادي التازي، الجزء الثالث، أكاديمية المملكة المغربي.

(ابن بطوطة) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، شرحه وكتب حواشيه: طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت.

(أبو الفداء) عماد الدين اسماعيل (ت٧٣٢)، المختصر في أخبار البشر، الجزء الثاني، تعليق: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت.

(البغدادي) عبد المؤمن بن عبد الحق بن شمائل القطيعي، الحنبلي، صفيّ الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ ، الجزء الثاني.

(البلاذري) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (المتوفى:٢٧٨هـ)، فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت.

(الدمشقي) محمد بن أحمد الإسكندراني (ت١٢٩٩هـ)، كشف الأسرار النورانية القرآنية، تحقيق: أحمد فريد المزيدى، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

(الدمشقي)عبد القادر بن محمد النعيمي (ت٩٧٨)، الدارس في تاريخ المدارس، الجزء الأول، إعداد: إبراهيم شمس الدين.

(الذهبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين (ت٧٤٨)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الجزء الخامس عشر، دار الكتب العلمية.

(الرمزي) م.م.، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، الجزء الأول، تعليق: إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية.

(الفاسي) علي بن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الرباط،١٩٧٢.

(الكوفي) علي بن حامد بن أبي بكر (ت٦١٣هـ)، فتح السند "ججنامة"، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر.

(المباركبورى) القاضي أبو المعالي أطهر، رجال السند والهند إلى القرن السابع، المطبعة الحجازية، ١٩٥٨.

(المقدسى) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (١٩٠٦)، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (المجلد الطبعة الثانية)، طبعة ليدن.

(المقريزي) أحمد بن علي عبد القادر بن محمد، الخطط المقريزية، الجزء الرابع، مكتبة الآداب، القاهرة.

(المكي) تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفارسي (ت٨٣٢هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر محمد عطا، الجزء الرابع، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

(النويري) شهاب الدين، نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الثاني والثلاثون، دار الكتب العلمية، بيروت.

(الهيتمي) أبو العباس أحمد بن محمد، ابن حجر (ت٩٧٤)، تحفة المحتاج بشرح المنهاج، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت.

المراجع :-

حوليات كلية الآداب، الجزء التاسع، العدد ٥٣، جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي.

(إبراهيم) عبد الله، عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٧.

(أبو خليل) شوقي، فتح الديبل بقيادة محمد بن القاسم الثقفي.

(الجوارنة) أحمد، مراسلات الحجاج بن يوسف الثقفي ومحمد بن القاسم الثقفي كما وردت في المصدر التاريخي، فتح السند أوجنامة دراسة تحليلية، أبحاث اليرموك سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، منشورات جامعة اليرموك، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، ١٩٩٧.

(الحجاج) عادل محمد ، موسوعة أعلام العرب في علم الحيوان والنبات، دار أسامة للنشر والتوزيع،عمان.

(الحفناوي) جلال السعيد، الهند في رحلة ابن بطوطة دراسة حضارية، المجلد ٥٦، العدد ١،٢٠٠٥، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيو دلهي، مجلة ثقافة الهند.

(الدميري) كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى،ج١، ٢٠١٨ م.

(السايس) عائشة سلمان، الهند معالمها آثارها الحضارية منذ القرن الرابع عشر وحتى القرن الواحد والعشرين، مركز الكتاب الأكاديمي.

(الغامدي) سعد محمد، الفتح الإسلامي لبلاد السند، حوليات كلية الآداب، الحولية التاسعة، جامعة الملك سعود، ١٩٨٨م.

(الكرياسي) محمد صادق محمد. (٢٠٠٩). المدخل إلى الشعر الأردوى. دار المعارف الحسنية.

(المسيرى) عبد الوهاب، الجماعات اليهودية إشكاليات، الجزء الثاني.

(المشهدانى) ياسر عبد الجواد. (٢٠١٥). العلاقات المصرية الهندية فى العصر المملوكى دراسة فى الجوانب السياسية والحضارية (المجلد الأول). القاهرة : المكتب العربى للمعارف.

(المغلوث) سامي بن عبد الله بن أحمد، أطلس تاريخ الدولة العباسية، العبيكان للنشر.

(بدوى) لسعيد (بلا تاريخ). الكتاب الأساسى فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (الإصدار الجزء الثالث). المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(جرار) مأمون فريز (بلا تاريخ). معجم ابن بطوطة فى رحلته ،باب الزاي. دار المأمون للنشر.

(جرار) مأمون فريز، معجم ابن بطوطة في رحلته، باب الزاي، دار المأمون للنشر.

(حسانين) نادية عويس، التاريخ العسكري في بلاد ما وراء النهر وأفغانستان، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٩.

(حمودة) عبد الحميد حسين ، الحضارة العربية الإسلامية وتأثيرها العالمي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠١٢.

(دياب) كوكب، المعجم المفصل في الأشجار والنباتات في لسان العرب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

(سالم) السيد عبد العزيز، محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٦.

(سراى الدين)وهيب. (بلا تاريخ). في معنى العمل والتربية والفن والمنطق العلمى. دار رسلان.

(شهاب)حسن صالح . (٢٠١٠). *عجائب الهند لبزرك بن شهريار بين الحقيقة والأسطورة*. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية.

(طه) فيصل سيد، مراكز التجارة في بلاد السند من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، الحولية ٣٨، العدد٤٨٥، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، ٢٠١٧.

(علو) عماد، القوى البحرية والتجارية في الخليج العربي خلال العصور الإسلامية، دار الجنان للنشر والتوزيع، ٢٠١٧.

(محفوظ)حازم ، ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.

(مشحود) رابح، مذكرات المجاهد والدبلوماسي الجزائري، الجزء الثالث، مؤسسة الأمة العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٩.

(نويرى) جلال الدين أحمد. (بلا تاريخ). تطور اللغة العربية فى المجتمعات الباكستانية والهندية وأهميتها، بيروت، دار الكتب العلمية.

العبيكان ، الأطلس الجغرافي للمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، العبيكان، الرياض.

مكتب البحوث في دار الفكر، الموسوعة العلمية الشاملة، عالم الحيوان، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، دار الفكر للطباعة، لبنان.

والله ولي التوفيق

The Travel of Ibn Battuta in SEUSTAN and its Sind Neighbourhood: 8th AH century- CE14th century

Abstract

This trip is considered one of the important topics, especially in that remote region, in which we did not know much about the details of the lives of its people and their most important customs and traditions, as this trip is considered as a detailed report that revealed to us A lot of secrets of the place. Therefore, I find that region had a lot of Ibn Battuta's interest in his journey. His trip to that locality of Sehwan and its neighborhood provided accurate historical information.

Ibn Battuta moved from the remote Islamic West to the Far Islamic East and stayed there more than eight years, a period that was adequate for mixing two different civilizations that affected each other. Therefore, I consider Ibn Battuta itinerary be a form of dialogue and civilizational exchange between medieval West and East.

Ibn Battuta made his journey in the AH eighth century, and his age was almost thirty years old and was able to visit the countries of India and Sind which were under the rule of Almuazam Muhammad Shah.